وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي

إحياء التراث القديم

المنصفات

أدركتُ رواةَ المسجديين والمربديين
ومَن لم يرو ... الأشعار المنصفة
فإنهم كانوا لا يعدّونه من الرواة
الجاحظ

جمعها وحققها

عبد المعين الملوحي

مدير إحياء التراث القديم

دمشق ١٩٦٧

مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي

المقدمة

الحياة كانت وما تزال ميدان حرب مستمرة لاتكاد تخبو لها نار : حرب بين الانسان وعناصر الطبيعة ، وحرب بين الانسان والانسان ، ولسنا في صدد الحديث عن الحرب الأولى ، وانما الذي يعنينا الحديث عن الحرب الثانية .

في هذه الحرب نجد المقاتلين ممن يصطلون بجرها تتوزعهم نتائج المعركة فهم بين منتصر ومنهزم ، ونجد المنتصر يقف من نصره أحد موقفين :

موقف المنتصر الذي يسكره النصر ، فيملأ الدنيا زهواً بالغالب وسخرية بالمغلوب .

وموقف المنتصر الذي يتواضع للنصر ولا يسخر بالمهزوم ، ويعرف أن الذي ينتصر لايبقى له نصر ، وأن الذي ينهزم لاتدوم عليه هزيمة . وكذلك يقف المهزوم أحد موقفين : موقف المهزوم الذي ينكر هزيمته ويشتم المنتصر ، وموقف المهزوم الذي يعترف بهزيمته وينصف أعداءه الذين هزموه وينصف منهم نفسه .

وكثير من فرسان العرب في الجاهلية وفي صدر الاسلام وحتى

في عهد بني أمية ، كانوا شعراء يسجلون أنباء قبائلهم ويفتخرون بانتصاراتها ويعتذرون عن انهزامها ، وقد رأينا الفارس الشاعر العربي يقف من هذه الانتصارات والهزائم أحد ذينك الموقفين اللذين يقفهما المنتصر أو المنهزم :

إما أن يملأ ماضغيه فخراً بنفسه وبقبيلته وهزءاً بالمغلوب وازدراء له ، ويكون بهذا فارساً مرة واحدة ، وإما أن يعترف بشجاعة المهزوم ، فيغض من كبرياء الغالب وغروره ، وينصف عدوه ويذكر شجاعته وجرأته ، فيكون فارساً مرتين ، فارساً لأنه انتصر ، وفارساً لأنه أنصف عدوه . وكذلك كان يفعل عند الهزيمة .

كان الشعراء الفرسان في الأدب العربي يمثلون الاتجاهين كليهما ، فمنهم من رأى نفسه وحدها فأعشته عن رؤية عدوه ، ومنهم من رأى نفسه ورأى عدوه فأنصف نفسه من عدوه أو أنصف عدوه من نفسه .

ونحن في هذا الكتاب سنقف طويلاً عند الفريق الثاني ، لأنه يمثل نموذجاً رائعاً من نماذج الفروسية العربية أخلاقاً وتقاليد وسلوكاً .

* * *

موقف الشعراء الفرسان في المعركة وانصافهم

قال أحد الكتاب المعاصرين :

« عندما تنشب المعركة يكون في كلا الصفين أبطال . » ومع ذلك فلا بد أن ينتصر فريق على فريق . وفي كل معركة يصارع فيها الانسان أخاه الانسان لابد من غالب ومغلوب ، وقد يكون الغالب

أحياناً ليس أكثر شجاعة من المغلوب ، ولا المغلوب أقل إقداماً من الغالب. وتبقى عقابيل المعركة دائماً : إكليل غار على رأس منتصر ، وقيد حديد في رجل منكسر ، وكثيراً مايتبادل الغالبون والمغلوبون أكاليل الغار وقيود الحديد ، حين لاتكون المعركة حاسمة ، ولعل العرب من أجل ذلك سموا معاركهم « أياماً » ولعلهم من أجل ذلك قالوا كلمتهم تلك المشهورة المأثورة :

« الدهر يومان : يوم لك ويوم عليك ، فاذا كان لك فلا تبطر ، واذا كان عليك فاصبر . »

والى ذلك أشار فروة بن مُسَيك المرادي حين قال ، وقد هُزِم في يوم من أيام همدان ومراد (*) :

إن نَهْزِمْ فهزّامون قِدْماً
وإن نُهْزَمْ فغير مُهَزَّمينا (١)

وما إن طِبُّنا جبنٌ ولكن
منايانا ودولة آخرينا (٢)

كذاك الدهرُ دولتُهُ سِجالٌ
تكر صروفُه حينا فحينا (٣)

(*) انظر المقطوعة في ص ١٢٩

(١) مُهَزَّم : كثير الانهزام ، معود عليه .

(٢) الطبّ : العادة والسبب .

(٣) سجال : جمع سجل وهو الدلو : أي مرة لك ومرة عليك من مساجلة المستقين على البئر .

هؤلاء الأبطال من أجدادنا العرب الذين ذاقوا حلاوة النصر حيناً ومرارة الهزيمة حيناً ، لايبطرون اذا انتصروا ، ولا يجزعون اذا انكسروا ، فكانوا في النصر منصفين يعترفون بما أبداه أعداؤهم من ضروب الشجاعة والاقدام ، وكانوا في الهزيمة منصفين يعترفون لأنفسهم بما أبدوه من فنون الحرب والضرب ، وكانوا حين ينقشع الغبار عن جيشين ليس بينهما منتصر ولا منهزم منصفين يعترفون بما أبدوه هم وأعداؤهم من بسالة في الرمي والطعن والضرب ، ولكن المعركة أجلت عن قتلى من الفريقين كلهم كرام ، وعن أسرى من الفريقين كلهم رجال ، وعن جرحى بين الفريقين لهم أحاح في الصعيد أقعدهم عن السرى ثقل الكلمى .

موقف نبيل في الحالات الثلاث : في النصر ، وفي الهزيمة ، وحين لايكون نصر ولا هزيمة ، موقف يتجلى فيه احترام البطل للبطل واعجاب الكمي بالكمي وتقدير الرجل للرجل عبرت عنه أحسن تعبير حرقة بنت النعمان بن المنذر حين وفدت على سعد بن أبي وقاص فأكرمها وصان وجهها فلما سألوها قالت :

حاطَ لي ذمّتي وأكرمَ وجهي
إنمــــا يكرمُ الكريمَ الكريمُ

وكذلك لايكرم الكريم المنهزم الا الكريم المنتصر .

• • •

الانصاف في العلاقات الاجتماعية

هذا الانصاف في الحرب ، وله وجوه ثلاثة — سنعود إليها مرة أخرى في تفصيل وإسهاب — يقابله انصاف آخر في المجتمع وفي العلاقات بين الناس وقد استطعنا أن نتبين له وجهين اثنين :

ففي هذه الحياة المزدحمة بأنماط من النـاس وألوان من الأحيـاء وضروب من الأهل والأصدقاء لابد أن يختار الانســان ، وهو اجتماعي بالفطرة ، أخاً له وصديقاً ، وأنت من هذا الصديق ذو مواقف : تكرمه فيكرمك وتمحضه الاخاء فيمحضك ، أو يكون بين بين ، تتصاحبان على حذر صحبة من لا يريد أن يجعل من صديقه عدواً ، فلا يكشف له غطاء . ولقد عرف العرب ذلك النوع من الاخاء المحض ، وهذا اللون من الصداقة الحذرة فسجلوهما في الشعر وعدوهما لوناً من الانصاف .

قال الطبرسي ، وقد شرح أبيـــاتاً للعباس بن مرداس من بابه المنصفـات :

« وهو من باب التناصف ، وللعرب قصائد قد أنصف قائلوهـــا أعداءهم ، وصــدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء ، وفيما وصفوه من أحوالهم في إمحاض الاخاء قد سموها المنصفات[1] . »

إمحاض الاخاء هو الوجه الأول من الإنصاف الاجتماعي ، وقـد أدركه الطبرسي ، ولكنّا رأينا له وجهاً ثانياً :

(١) خزانة الأدب ج٣ : ٥١٧ — ٥٢١ .

نحن في كثير من الأحيان لانحب انساناً ما ولا نحب أن يحبنا هذا الانسان ، نجاهره بالعداوة دون رياء ، نصارحه بكرهنا دون ستار ، ونعرف أنه لايحبنا كما لانحبه ، ويجاهرنا بالعداوة كما نجـــاهره ، وعندئذ ننصفه وينصفنا ، ولم يذكر الطبرسي هذا اللون من الانصاف ولكن الشاعر العربي أدركه بفطرته السليمة وذكائه الأصيل ، فأنصف في البغضاء الخالصة ، كما أنصف في الاخاء المحض ، وذلك حين قال علي بن بَدّال السلمي(*) :

لعمرُكَ إنني وأبـــا رياحٍ
على طولِ التجاورِ مُنْذُ حينِ (١)
ليُبغِضُني وأُبغِضُـــه وأيضاً
يَراني دُونَـــه وأرَاه دوني (٢)
فلو أنّا على حَجَرٍ ذُبِحنـــا
جرى الدّميانِ بالخبرِ اليقينِ (٣)

* * *

وجوه الانصاف

وهكذا نجد للمنصفات وجوهاً خمسة ، ثلاثة وجوه منها في الحرب ، ووجهين في السلم :

(*) انظر المنصفات ص ٣-٤ ،

(١) و (٢) و (٣) معنى الأبيات واضح ، وهي انصاف كامل في البغضاء ، وما أقوى صورة الأعداء تجري دماؤهم بعد الذبح في طرق مختلفة ، حتى ماتلتقي في الموت .

عندما ينتصر العربي في المعركة فلا يهجو أعداءه المنهزمين ، بل يذكر أنهم كانوا شجعاناً ، وعندما ينهزم العربي في المعركة فلا يستحيي أن يقول : إن هزيمته لم تكن عن جبن ، ولكن أعداءه كانوا أكثر منه عدة وعدداً ، وعندما يلتقي بأعدائه فلا تنجلي المعركة عن منتصر ولا منهزم ، وإنما هم أكفاء في الحرب متساوون في تحمل أوزارها وأثقالها ، فيذكر ذلك فينصف من نفسه ومن عدوه ، وعندما يخلص المودة فيقابله أخوه بالمودة الخالصة ، وعندما يجاهر بالعداوة فيقابله نده بالعداوة جهاراً ، خمسة وجوه للانصاف أبدعت لوناً أدبياً رائعاً من ألوان أدبنا العربي سمي « المنصفات » وتركت لنا نماذج رفيعة ، حاولنا أن نجمع منها ما مكننا منه جهد الطاقة في هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه هذا اللون الأدبي الطريف .

* * *

مصادر شعر الانصاف

والحق أن المنصفات على شهرتها وقيمتها لم نعلم أنها جمعت قديماً ولا حديثاً في كتاب واحد ، وإنما هي أشتات نثرت في بطون الكتب : في دواوين الحماسة وفي كتب الاختيارات .

وقد استطعنا أن نجمع أكثرها من هذه المصادر الأساسية :

١ ـ حماسة أبي تمام .

٢ ـ حماسة البحتري .

٣ – حماسة ابن الشجري .

٤ – الأشباه والنظائر .

٥ – الأصمعيات .

٦ – الوحشيات .

٧ – الشعر والشعراء .

وهنالك مصادر فرعية أخرى وقفنا فيها على البيت والبيتين .

• • •

قيمة شعر الانصاف

أول من أشاد بالمنصفات – فيما نعرف – الجاحظ في كتابه البيان والتبيين حين قال (*) :

« وقد أدركت رواة المسجديّين والمربديين ، ومن لم يرو أشعارَ المجانين (العشاق) ولصوص الأعراب ونسيبَ الأعراب ، والأرجاز الأعرابية القصار والأشعار المنصفة فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة ...» .

ورغم هذه القيمة التي قررها الجاحظ للأشعار المنصفة لم نجد من تصدى لجمعها في كتاب واحد ، وتصنيفها حسب لون الانصاف فيها ، وبقيت هكذا مبعثرة في بطون المختارات .

• • •

(*) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق هارون ج٤ : ٢٣ .

بواعث الشعر المنصف وجوانبه

لم يكن الانصاف في الشعر العربي ، حين نجد نماذجه المختلفة ، نزوة عابرة أو عاطفة نبيلة موقوتة ، وإنما كان الانصاف في الغالب نتيجة من نتائج الحروب الطويلة العنيفة التي خاضها العرب في صحرائهم ، على أعدائهم حيناً ، وعلى أصدقائهم حيناً ، وعلى بني عمومتهم حيناً ، بل على إخوانهم أحياناً إذا قست عليهم الطبيعة وأجحفت بهم السنون فأعرقت العظم واللحم .

إن هذه الحروب علمتهم أشياء كثيرة ، علمتهم أنها تقتضي أول ما تقتضي رجولة كاملة : في حب الموت ، والاقدام على الهول ، والصبر عند المكاره ، وتقتضي ثاني ما تقتضي استعداداً كاملاً في آلات الحرب : في الدروع السابغة ، والرماح النافذة ، والسيوف القاطعة ، والخيول الصابرة ، وهذا فارس من فرسان العرب يذكر بعض ما أعده هو وأعداؤه للحروب ؛ فكل مقاتل يجري الى يوم القتال بما استعد .

قال عمروُ بن معد يكرب الزُّبيدي يعدُّ آلةَ حربه ولبوس أعدائه في المعارك (*) :

أعـددتُ للحَدثانِ سا
بغَـةً وعَـدّاءً عَلَنْدى (١)

(*) الحماسية ٣٤ . وكان عمرو ممن يصدق في شعره أحياناً .

(١) الحدثان : الحوادث . السابغة : الدرع الواسعة ، والعدّاء : الفرس الكثير الجري ، العلندى : الغليظ الشديد من كل شيء .

نَهْـداً وذا شُطَبٍ يَقُـ
ـدُّ البَيْضَ والأبدانَ قَدّا [1]

وعَـلمتُ أني يـومَ ذا
كَ منـازلٌ كَعْباً ونَهْـدا [2]

قَومٌ إذا لَبِسوا الحَـديـ
ـدَ تَنَمَّروا حَلَقاً وقِـدّا [3]

كُـلُّ امرىء يَجْـري إلى
يوم الهياجِ بما اسْتَعَـدّا [4]

والعرب ، وقد استعدوا للقتال ، وأخذوا أهبتهم من قوة ومن رباط الخيل ، يعلمون بعد ذلك أن الحرب ليست لهواً ولا لعباً ، وإنما هي جد وهول ، بل إن امرأة عربية ذاقت مرارة الحروب ونتائجها في أخويها ثم في أبنائها ، وعرفت أن الحرب ليست كلمة تقال ، وإنما هي كارثة تقع ، وأهوال تحـل ، وأحباب يفارقون ، وثكل يوجع ، فاذا

(١) النهد : المرتفع تتمة لصفة الفرس في البيت السابق ، ذو شطب : ذوخطوط وهو السيف ، البيض :جمع بيضة وهي الخوذة ، ويقد :يقطع .

(٢) كعب ونهد : قبيلتان .

(٣) تنمروا : أجود المعاني أنهم اذا لبسوا الدروع واليلب تشبهوا بالنمرفي أفعالهم في الحرب . والحلق : الدروع المنسوجة حلقتين حلقتين . والقِد : درع يتخذ من الجلد.

(٤) يوم الهياج : يوم الحرب .

هي تقول[1] :

تعرقني الدهر نهساً وحــزّا

وأوجعني الدهر قرعاً وغمزا

أصـاب رجــالي فأفنــاهُمُ

فأصبح قلـــبي بهم مستفزا

وكانوا السنـامَ على قــومهم

وزينَ العشـــيرة بذلاً وعِزّا

ثم تجمع هذه النتائج الرهيبة في هذا البيت الحكيم العاقل :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب

بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

نعم إن « من دخل الحروب وقارع الأبطال وظن أنه لا يصاب بشيء من الضرب والطعن ونحو ذلك ، فقد ظن ظناً باطلاً[2] » وتبقى الحرب ناراً تذهب خيلاء موقدها ، ولا يصبر لها الا الفتى المقـدام والفرس الوقح ، أما الأوشاظ والأذناب فيتساقطون .

وهذا سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة جـد طرفة ابن العبـد يحدد أبعاد المعركة وتكاليف الحرب ، وينعي على المتخاذلين

---

(١) حماسة إبن الشجري المخطوطة الظاهرية ص ٣٠

(٢) شرح درة الغواص للخفاجي .ص٢٥٦

قعودهم عنها فيقول (*) :

يا بؤسَ للحرب الـــتي وضعتْ أراهطَ فاستراحوا[1]
والحربُ لا يبقى لجـــا حمها التخيُّـلُ والمراحُ[2]
إلا الفتى الصبارُ في الـ نجدات والفرسُ الوقاحُ[3]
والنثرةُ الحصـــداء والـ بيض المُكَلَّلُ والرماحُ[4]
وتساقطُ الأوشاظُ والـ ـذنباتُ إذ جهدَ الفضاحُ[5]

(*) حماسة أبي تمام ص ١٦٤ قال سعد هذه القصيدة في حرب البسوس التي هاجت بين بكر وتغلب واعتزل عنها الحارث بن عباد . وقال : هذا أمر لاناقة لي فيه ولا جمل فعرض به سعد لقعوده عن الحرب .

(١) يابؤس للحرب : اللام فيه لتأكيد الاضافة أي يابؤس الحرب . ووضعت : تركت . والأراهط : جمع رهط .

والمعنى : أسفاً على داهية الحرب التي تركها جماعة فاستراحوا من شدائدها التي بها نيل المكارم .

(٢) الجاحم : الملتهب . والتخيل : الخيلاء . والمراح : النشاط .

والمعنى : ان الحرب داهية لايبقى لمن يصطلى حرها تخيل ولا مراح فالذي يجربها يعلم حقيقتها .

(٣) النجدات : الشدائد ؛ والوقاح : الشديد الحافر .

والمعنى : لايقوم لحومة الحرب الا الفتى الحابس نفسه على الدواهي ، والفرس الصلب الحافر .

(٤) النثرة : الدرع الواسعة . الحصداء : المحكمة النسج . المكلل : المسمر بالمسامير أي لايثبت للحرب الا الفتى والفرس . وهذه الأشياء التي هي أدوات الحرب وبها التحصن .

(٥) الأوشاظ : الأخلاط . الذنبات : الأتباع . الفضاح : الفضيحة .

والكر بعد الفر إذ كُرِهَ التقدم والنطاح[1]

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح[2]

من صدّ عن نيرانها فأنا ابن قيس لابَرَاحْ[3]

صبراً بني قيس لها حتى تريحوا أو تراحوا[4]

وهذا قطري بن الفجاءة ، وهو فارس من فرسان العرب ، له عقيدة كان من أشد المدافعين عنها ، يضع دستوراً للحرب ، ولا يرى في تسافي الموت في الحرب عاراً فيقول :(*)

ألا أيها الباغي البِرازَ تَقَرَّبَنْ

أُساقِكَ بالموتِ الذُّعافَ المُقَشَّبا[5]

— والمعنى : ان الحرب لاحظ فيها للأوشاظ والذنبات اذا بلغ الأمر الفضيحة ،فانهم يسقطون عندئذ ويكون المعول على الرجال لما لهم من صدق العزيمة عند اللقاء .

(١) معنى البيت : لاتظهر محمدة الكر بعد الفر الا حين يعز التقدم والمناطحة .

(٢) معنى البيت : اشتدت غمرات الحرب وبدا محض شرها .

(٣) معنى البيت : من أعرض عن الحرب خوفاً من شرها ، فأنا ابن قيس صاحب النجدة ، لابراح لي عن هذه المعركة الا أن أغلب أو أقتل .

(٤) معنى البيت : اصبروا يابني قيس لهذه الحرب حتى تقتلوا أعداءكم فتريحوهم من شرها ، أو يقتلوكم فيريحوكم من شرها .

(*) حماسة أبي تمام — ٢٢٧ —

(٥) الذعاف : سم ساعة . والمقشب : الذي خلط بما يقويه .

والمعنى : أيها الطالب مبارزتي تقرب مني أفعل بك مايقوم مقام سم ساعة .

فما في تساقي المَوتِ في الحَربِ سُبَّةٌ

على شارِبيه ، فاسْقِني منهُ واشْرَبا [1]

ومن البداهة — وقد عرف العرب ما في الحروب من مآس — أن يعرفوا أن هذه المآسي لا تنال جانباً دون جانب ، ولا تلحق فئة دون فئة ، بل إن القروح تتساوى ، ولئن أصاب هؤلاء قرحٌ فقد أصاب أولئك قرح مثله ، ولئن مات فلان اليوم فسيموت فلان غداً ، فالموت ليس عاراً على الفتيان ، والكريم ليس محرماً على سيف ولا سنان .

وهذا عنترة يصف خصمه الذي قتله فلا يبخسه حقه ولا يقلل من شأنه ، وإنما هو يصفه بالشجاعة والنجدة والبأس ، ومع ذلك فقد قتله عنترة ، والقتل معروف للأبطال : [2]

ومُدَجَّجٍ كَرِه الكماةُ نِزالَه

لا ممعنٍ هَرَباً ولا مُستسلمِ

جادتْ له كفي بعاجلِ طَعْنَةٍ

بمُثقَّفٍ صَدْقِ القَناةِ مُقَوَّمِ

فَشَكَكْتُ بالرُّمحِ الأصمِّ ثيابَه

ليسَ الكريمُ على القنا بِمُحَرَّمِ

---

(١) السبة : العار . والمعنى : انه لا عار في الحرب اذا سقى كل انسان صاحبه كأس الموت فيها . وأصل اشربا « اشربن » فحذف النون .

(٢) ديوان عنترة : المعلقة .

وهذا مهلهل بن ربيعة يلتقي بأهله وبني عمه في معركة « عنيزة » فإذا هو وهم « رحيا مدير »

كأنا غـــدوةً وبني أبينـــا
بجنب عنـــيزة رَحيا مديرِ[1]

وفي رواية أخرى كأنها « ركنا ثبير » :

غـــداة كأننا وبني أبينـــا
بجنب عنـــيزة ركنـا ثبيرِ[2]

ومن أجل هذا البيت قيل : ان أول من أنصف في شعره مهلهل ابن ربيعة ، وليس ذلك صحيحاً فسترى في كتابنا هـذا شعراء منصفين تقدموه في الانصاف كما تقدموه في الزمن .

والشاعر الفـــارس العربي يجب أن ينتصر على أعدائه بسنانه لا بلسانه ، فأن تشتم أعداءك بلسانك أمر سهل ، ولكن الرجولة كل الرجولة ، أن تجهل يداك ويعف لسانك ، وأن ينتصر سيفك ويحـــلم رأيك . قال معبد بن علقمة ، وهو شاعر مخضرم صحابي ، شهد فتح مكة (*) :

---

(١) الأصمعيات : ص ١٧٤ . تحقيق شاكر وهارون .

(٢) كتاب بكر وتغلب : المنسوب الى محمد بن اسحاق ص ٧٢ .

(*) ديوان الحماسة لأبي تمام رقم ٢٠٣ .

فقلْ لزهيرٍ إنْ شتمتَ سَراتَنا
فلسنا بشتّامينَ للمُتَشتّمِ
ولكننا نأبى الظّلامَ ونعتصي
بكل رقيقِ الشّفرتينِ مُصَمّمِ
وتجهلُ أيدينا وَيحْلمُ رأيُنا
ونَشْتُمُ بالأفعالِ لا بالتكلمِ

ومن الشعراء من كان يصل في وصف شجاعة أعدائه والشهادة لهم بالبسالة الى حد يُسَوّغ فيه هربه منهم وفراره عنهم ، وقد صنع ذلك الحارث بن هشام المخزومي شقيق أبي جهل ، وهو شاعر مخضرم شهد غزوة بدر مع المشركين وفر عن أخيه أبي جهل فعيره بذلك حسان بن ثابت في قصيدة يقول فيها يخاطب نفسه (*) :

ان كنت كاذبةً الذي حدثتني
فنجوتُ منجَى الحارثِ بن هشامِ
ترك الأحبةَ أنْ يقاتلَ عنهمُ
ونجا برأسِ طِمِرّة ولجامِ

(*) حماسة أبي تمام ٣٧ .

فأجابه الحارث بن هشام وهو مشرك يومئذ بهذه الأبيات يعتذر فيها عن فراره من المسلمين :

اللهُ يعــــلمُ ما تركتُ قتالَهم
حتى علوْا فرسي بأشقرَ مُزْبدِ[1]

وشممتُ ريحَ الموت من تلقائهم
في مأزقٍ والخيــــلُ لم تتبدَّد

وعلمتُ أني إن أقاتِلْ واحداً
أُقْتَلْ ، ولا يضررْ عدويَ مشهدي

فصَددتُ عنهم ، والأحبــةُ فيهمُ
طمعاً لهم بعقاب يومٍ مُرْصَدِ[2]

وقد تنتصر قبيلة على قبيلة ، فإذا شاعر المنتصرين لايظلم المنهزمين ، بل هو ينصفهم من نفسه وأهله .

قال العباس بن مرداس وقد هزم قومه أعداءه (*) :

---

(١) يقول : انه لم ينهزم حتى سال دمه على فرسه أوأصابه دم فرسه .

(٢) يقول :أعرضت عنهم وفيهم أخي أبو جهل ورهطه من أهـــل مكة فقتلوا وأسروا لطمعي في أن أحارب المسلمين في يوم يمكنني منهم .

أسلم الحارث وحسن اسلامه واستشهد في وقعة اليرموك عام ١٥ هـ .

(*) انظر ترجمته في المنصفة الثالثة . والبيتان في حماسة ابن الشجري طبعة حيدر آباد ص ٣٥ – ٣٦ .

هَزَمْنا إذْ لَقينــا جيشَ رَعْلٍ

وذَكواناً وجَمْعَ بني خُفـافِ[1]

ومــــا إن طبُّهمْ جُبْنٌ ولكن

رَمَيْنـــــاهُمْ بثـــالثةِ الأثافي[2]

وهكذا يلتقي الشاعر المنهزم فروة بن مسيك المرادي (*) بالشاعر المنتصر العباس بن مرداس السلمي في المعنى بل يلتقيان أيضاً في اللفظ ، فما طب المنهزمين الجبن في رأي المنهزم ورأي المنتصر على حد سواء .

والحرب سجال مرة ينتصر هذا ومرة ينتصر ذاك ، وقد قـال مسور بن زيادة الحارثي (**) :

أنختم علينـا كلكلَ الحرب مَرَّةً

فنحن منيخوها عليكم بكلكلِ[3]

---

(١) و (٢) رعل وذكوان وخفاف :أسماء قبائل حاربها بنو سليم فانتصروا عليها.
الطب : مر تفسيرها ، السبب والعادة . ثالثة الأثافي : كناية عما لايطاق من الأمر . وأصل الأثافي جمع : أثفية ، وهي الحجارة التي تنصب وتجعـــل القدر عليها . وفي لسان العرب : الأصمعي : من أمثالهم في رمي الرجل صاحبه بالمعضلات : رماه الله بثالثة الأثافي.

ومعنى البيتين : لقد هزمنا أعداءنا لا لأنهم جبناء ولا لأن من عادتهم الفرار ، ولكننا كنا أكثر منهم عدداً وعددا فلم يطيقوا لقاءنا .

(*) انظر الأبيات ص

(**) حماسة أبي تمام رقم ٦٢ .

(٣) اناخة الكلكل: كناية عن القهر والابادة . والكلكل :في الأصل الصدر فضربه هنا مثلا وهو يهددهم بأنه سيكافئهم على مابدؤوا به .

هذان الجانبان من الإنصاف : جانب المنتصر الذي لايتهم المنهزم ، وجانب المنهزم الذي لايتهم نفسه ، ثم لايتهم المنتصر ، لهما أخ ثالث ، هو جانب ذلك الذي خرج من المعركة غير منهزم ولا منتصر ، خرج يجرر سيفه المنحني ، أو رمحه المتكسر ، خرج يضمد جراحــــه ، بل خرج ليدفن قتلاه قبل أن تجعلها الضباع لها عرساً ، وفي الوقت نفسه خرج معه عدوه يجرر سيفه المثلوم أو رمحـــه المتكسر ، خرج يضمد جراحه ، بل خرج ليدفن قتلاه قبل أن تعرس بها الضباع .

هذا الجانب الثالث هو الذي غلب على المنصفات ودخل في شرط حدّ الطبرسي لها .

الشاعر العربي في هذا الموقف الثالث وجدناه منصفاً أيضـــاً كما وجدناه من قبل ، إنه يكاد يكون ميزان صدق ، وقسطاس حق ، انه يمثل العدل الذي يقرب أن يكون كاملاً ، يضع أعداءه في كفة ويضع قومه في كفة ، وتترجح الكفتان مرة تميل هنا ، ومرةً تميل هناك ، والشاعر العربي يسجل ذلك كله ، ثم لايضع سيفه في احدى الكفتين كما فعل مرة ذلك القائد المنتصر حين وضع سيفه الثقيل في ميزان يزن به المنهزمون الذهب للمنتصرين ثم قال قولته تلك المدوية كانت ومازال في آذان المغلوبين :

« الويل للمغلوب » .

الشاعر العربي في مثل هذه الحالة يظل رابط الجأش ، لايدعي النصر ، ولانصر ، ولايخاف الهزيمة ، ولاهزيمة ، وقصائده المنصفات هنا تصل الى أروع مستوى من العدل والصدق ، بل ان الناس لايسمونها

« المنصفات » كما تعودنا أن نقول ، وإنما يسمونها « المُنَصَّفات » كأن القصيدة جعلت نصفين بين القائل وعدوّه[1] فالبيت الواحد شطران : شطر له وشطر لعدوه ، فاذا كان البيت الواحد كله له أتبعه بيتاً ثانياً كاملًا لخصمه ، وهكذا دواليك .

• • •

القصائد المنصفة في الشعر العربي

قال الخالديان في الأشباه والنظائر[2] :

ذكرت الرواة أن منصفات أشعار العرب ثلاثة أشعار : فأولها قصيدة عامر بن معشر بن أسحم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جيرَتَنَا استَقلُّوا
فنيتُنَا ونِيَّتُهُمْ فَريقُ

والمنصفة الثانية لعبدِ الشارقِ بن عبد العزيزِ الجُهَنيّ :

---

(١) الأشباه والنظائر : تحقيق محمد يوسف : هكذا ضبطت الكلمة في النسخة المغربية ج ١ ص ١٥٠ ومابعدها .

(٢) الأشباه والنظائر : الخالديان تحقيق محمد يوسف : ج ١ : ١٥٠ — وما بعدها ونقلناها في اختصار .

وسوف نذكر الخلاف في الرواية وفي أسماء الشعراء ، وفي عدد الأبيات في صلب الكتاب .

ألا حُيِّيت عنـــا يا رُدَيْنـــا

نُحَيِّيهـــا وإن كَرُمَت علَيْنـــا

والمنصفةُ الثالثة للعباسِ بنِ مِرداس السُّلَمي :

لأسماءَ رَبْعٌ أصبَحَ اليومَ دارِسا

وأقْفَرَ منها رَحْرحانَ فراكِسا

ولكنا وجدنا أن هذه المنصفات أكثر من ثلاث ، بل وجدنا منها ستاً طوالاً ، ووجدنا مقطوعات أخرى ليست بقصيرة وكلها من المنصفات وقد سماها القدماء كذلك ، فالمنصفة الرابعة ، ذكرها الطبرسي حين قال بعد أن أورد بيت المهلهل ، وهو بيت منصف مفرد[1] . ومن المنصفات قول الفضل بن العباس بن أبي لهب[2] :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمَكم

وأن نكفَّ الأذى عنكم وتؤذونا

وهذا البيت من قصيدة استطعنا أن نعثر منها على خمسة أبيات، وهي المنصفة الرابعة .

وتأتي المنصفة الخامسة ، وهي لأبي عروبة المدني وأولها قوله[3] :

---

(١) الخزانة ٣ : ٥٢٠ – ٥٢١ المصدر نفسه .

(٢) حماسية أبي تمام رقم ٥٣ .

(٣) حماسية أبي تمام رقم ٦٦ من باب الأضياف والمديح .

إني وإن كانَ ابنُ عَمّيَ غائباً

لَمُقاذفٌ من دونــــهِ ووَرائهِ

بل لقد وردت قصيدة أخرى سميت بالمنصفة ، استنشدها أحـد الأمراء وهو عمر بن هبيرة الفزاري صاحبها ابا الأخيل العجلي – كما روى ابو رياش – فقال له أنشدنا منصفتك فأنشده قوله[1] :

ألا يا اسلمي ذاتَ الدماليجِ والعِقْدِ

وذاتَ الثنايا الغُرِّ والفاحِمِ الجَعْدِ

فعددناها المنصفة السادسة .

فالقصائد المنصفات الطوال اذن ست ، منها اربـع في الإنصاف في الحرب ، واثنتان في الإنصاف في الإخاء ، وهنالك مقطوعات أخرى ، منها البيتان والثلاثة بل قد تصل بعض المقطوعـات الى قصائد فيها أكثر من سبعة أبيات ، أوردناها في آخر الكتاب ، منها ما هو في الحرب ومنها ما هو في الإخاء أو في العداوة ؛ وقد يكون بعضها أشد دلالةً على الإنصاف من بعض القصائد الطوال وأقوى أسلوباً وأصفى روحاً . وهكذا نجد الخالديين قد تعسفا حينما لم يدخلا في شرط المنصفات إلا ثلاث قصائد .

نعم ان الخالديين ذكرا الأشعار المنصفة في الحرب ، وقالا : إنها

---

(١) حماسة أبي تمام ، مختصر التبريزي ج١ : ٤٢٧ .

ثلاثة ، وبذلك تخرج القصائد التي تنصف في الإخاء ، من شرطها في القصائد المنصفات ، ومنها قصيدة الفضل بن العباس اللهبي ، ولكننا نجد قصائد أخرى في الحماسة والحرب ، هي من أحلى القصائد المنصفة وأقواها.

ولعل الخالديين لم يستقصيا المنصفات في الشعر العربي .

لقد استطعنا أن نجمع من المنصفات ست قصائد وعدداً من المقطوعات غير قليل ، ولاندعي أننا استوفيناها ، بل إن كل أثر عربي يطل علينا من مخطوطات تراثنا العربي الأدبي المجيد يمكن أن يزيد في عدد القصائد وفي عدد الأبيات .

وهنالك أبيات مفردة نعثر عليها موزعة في قصائد كثيرة ، فيها إنصاف واضح ، ولكن القصيدة سرعان ماتعود الى موضوعها الأصلي في المدح أو الهجاء أو الفخر فتضيع روح الإنصاف الذي حمله البيت الواحد وتذوب في جو المدح أو الفخر والهجاء . ومن ذلك البيت الذي ذكرناه للمهلهل بن ربيعة ، ومن ذلك بيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي (*) :

عَجَّتْ نساءُ بني زيادٍ عَجَّةً
كعجيجِ نسوتِنا غداةَ الأَرْنَبِ(1)

(*) حماسة البحتري : تحقيق كمال مصطفى ص ٦٣ .

(١) عج : صاح ورفع صوته ومعنى البيت : لقد ندب ثاكلات بني زياد قتلاهن كما ندبت نساؤنا ثكلاهن غداة يوم الأرنب . وقد أورد المعنى نفسه في قصيدة المفضل النكري . انظر ص ٢٣ .

أما جانب الحب فقد أوردنا في القصائد قصيدتين أولاهما وردت في نص الطبرسي وهي قصيدة الفضل بن العباس ، وثانيتهما قصيدة أبي عروبة المدني في ابن عمه .

وقد وقعنا على مقطوعات أخرى في الانصاف سنثبتها في آخر الكتاب ملحقة بالقصائد الست المنصفة .

وهكذا تم لنا خمسة جوانب من الانصاف ثلاثة في الحرب في في حالة النصر والهزيمة والتعادل ، ورابع في الحب والإخاء ، وخامس في الحقد والبغضاء .

• • •

تقليد المنصفات

ولعل المنصفات بما فيها من روح العدل والصدق قد أعجبت بعض الرواة ، فدفعتهم إلى تقليدها في روحها وأسلوبها ، وهذه قصيدة رواها خلف الأحمر ، وأغلب الظن أنه هو الذي صاغها (*) :

قـل لعمرٍو يا بنَ هندٍ لو رأيتَ اليوم شَنّا (١)
لرأتْ عينـــاكَ منهمْ كُلَّ ما كنتَ تَمَنّى ؟
إذْ أتَتْنا فيلقٌ شهـ ـباءُ من هَنّا وهَنّا (٢)

(*) درة الغواص للحريري : ص ٩٢ – الشاهد ١٤٠ . خزانة الأدب للبغدادي الجزء الأول ص ٨٢ الشاهد ٢٢ . قال : ودلائل الوضع في هذه الأبيات ظاهرة . وكان خلف الأحمر متهماً بالوضع .

(١) شن : قبيلة .

(٢) الفيلق : الجيش . وأنثه باعتبار الكتيبة . وهَنّـا : بالفتح : اسم إشارة للتقريب .

وأَتتْ دوسرُ والملـ ـحاءُ سَيْراً مطمئِنّا[1]
ومشىٰ القومُ إلى القو مِ أُحــادىٰ ومُثَنَّى
وثُلاثــاً ورُباعــاً وخُمـاساً فـاًطعَنّـا
وسداسـاً وسُباعــاً وثمانــاً فاجتلدْنــا
وتساعــاً وعشاراً فأَصَبْنــا وأُصِبْنــا
لا تَرىٰ إلاَّ كَمِيّــاً قاتلاً منهمْ ومِنّــا

• • •

الانصاف والظلم

ان ماوصلنا من شعر الانصاف قليل والشعراء الفرسان المنصفون الذين عرفناهم قلة ، ولعل مرد ذلك الى أن الانصاف في هذه الحيـاة ، ولا سيما في المعارك حين تتفجر الأحقاد وتنزو المظالم ، وتغزو المطامع النفوس ، شيء نادر جد نادر ، نعم ان في قول الكاتب « عندما تنشب المعركة يكون في كلا الصفين أبطال . » صواباً كبيراً وانصافاً واضحاً ، ولكن هذا الانصاف يتطلب كيما يراه الناس أحد اثنين : يتطلب رجلاً محايداً يرى الصفين معاً ، أو رجلاً يرقى عن مستوى الصف الذي هو فيه ليرى مآثر عدوه كما رأى مآثر قومه وفجائع عدوه وفجائع قومه ، وقل ان

---

(١) دوسر : كتيبة للنعمان بن المنذر ، والملحاء كتيبة لآل المنذر .

يملك المحارب أعصابه ونفسه وعواطفه في مثل هذه المواقف . ولذلك وجدنا أكثر الشعراء يتجاهلون ، في المعنى العربي الأصيل لهـــذه الكلمة ، أي يتركون العدل والانصاف الى الظلم والبغي ، وكان الانسان أكثر المخلوقات ظلماً لنفسه ولأخيه .

وغريب أننا نجد بعض هؤلاء الشعراء من أصحـــاب المنصفات ينصفون في قصائدهم هذه ، فاذا قرأنا قصائد لهم أخرىٰ وجدناهم أبعـــد مايكونون عن الانصاف ، بل لقد وجدنا بعضهم في القصيدة المنصفة نفسها ينصف في أبيات ثم لايلبث أن يتجاهل في أبيات ، فما أقسى مـايبذل الانسان من طاقته . ويراقب من عاطفته ليبقى منصفاً .

اذن فان قيمة الانصاف في هذه القصائد القليلة ليست في عددها ، وانما هي في موضوعها ، في هذا الجهد الانساني الخارق المتميز الذي بذله المقاتل الجريح المفجوع في ميدان الكـلام ليرى في عدل وصدق ذلك الجهد الانساني الخارق المتميز الذي بذله المقـــاتل الجريح المفجوع في ميدان المعركة .

عندئذ نجل هذا البطل المقاتل الذي يجل عدوه البطـل المقاتل ، ويرى فيه عدواً في الحرب ، وأخاً وابن عم في السلم وكفئاً في القتال ، ونداً في الفعال .

بل نحن نجد من شعرائنا من يحمل على الانصاف ويقول عنه انه ذلة وخزي ، ويدعو الى الظلم والبغي والعـــدوان ، ويرى في ذلك عزة ومنعة وحزماً .

أما زهير بن أبي سلمى فقد برأناه من الدعوة الى الظلم في قوله :

ومن لا يذذْ عن حوضه بسلاحِه

يُهَدَّمْ ومن لا يظلمِ الناس يُظْلَمِ

فزهير في قوله هذا يلجأ الى « المشاكلة » ويقصد من دعوته الى الظلم الدعوة الى القدرة على رد الظلم بالقوة الرادعة ، وذلك أمر نعرفه في زهير وفي حكمته التي هي خلاصة تجربته .

ولكن العباس بن عبد المطلب يحض أبا طالب على الظلم ورد النصف حتى حين ينصفه أعداؤه فيقول (*)

أبا طالبٍ لا تقبل النصفَ منهمُ

وإن أنصفوا حتى تعق وتَظلما

أبى قومُنا أن ينصفونا وأنصفت

قواطعُ في أيماننا تقطر الدما

تركناهم لا يستحلون بعدها

لذي حرمةٍ يوماً من الدهر محرما

وهذا الصلتان العبدي أشد دعوة الى الظلم والى رد النصف حين يقول : (**)

(*) حماسة البحتري ص ٦٠ — ٦١ .

(**) المصدر نفسه .

اغشَ الأمــور بحزمهـــا

حتـــى تكونَ الأحزما

واظـــلمْ فلستَ بمـــدرك ال

أوتـارِ حتـــى تَظْلِمـــا

ونجد شاعراً ثالثاً يعتبر النصف ظلماً ، وهو عبادة بن حريز حين يقول (*) :

أَرى النِّصفَ أمراً قد تَبيَّنَ ظُلْمُه

هو الحَقُّ إلا أنَّ ذا النِّصفِ يُظْلَمُ

وهذا أبو الطيب المتنبي في القرن الرابع يعتبر الظلم طبيعة انسانية فيقول :

والظلمُ من شيم النفوس فإن تجدْ

ذا عفـــة فلعلـــةٍ لا يظلمُ

وينسى أبو الطيب في غمرة سخطه على الناس أن العدل والانصاف من طبيعة الانسان ، وأن كراهية الظلم أعمق من الرغبة في الظلم وأن الشعراء ـ وان اتبعهم الغاوون ـ لم يكونوا كلهم ظالمين ، فقد وجدنا منهم المنصفين ، وكان لنا من شعرهم الانصاف .

• • •

(*) حماسة البحتري : ص ٦٠ ــ ٦١ .

الجانب الخلقي في الانصاف

هـذا الكتاب يمثل الانصاف وهو الجـانب الخلقي في شعر الحماسة والفروسية ، ويظهر لنا أنه « لم يكن جانب الحرب[1] في شعر الفرسان هو الجانب الغالب ، ولم تكن أصوات الرماح وقعقعـة السيوف هي الأصداء المتجاوبة في قصائدهم وانما كان الجانب الخلقي في حياتهم لايقل عن ذلك الجانب وضوحاً وتميزاً ، لأن البطولة الحربية كانت تقترن بالبطولة الخلقية عند هؤلاء الفرسان في كثير من الأحيان ، فالكرم والايثـار والنجدة والوفاء بالعهد والحفاظ عليه ، والحلم ورحابة الصدر وحماية الجار والدفاع عن المرأة والذود عن المستجير ، كل هذه المعاني كانت تتألق في قصائدهم ، الى جانب الجرأة والاقدام والصبر على النائبات والثبات في المعركة وخوض غمار الحرب والشجاعة فيها .

فعنترة فارس في حروبه لأنه يبلي فيها بلاء محموداً وهو لا يخوض الحرب من أجل الغنيمة والاسلاب ، وهو فارس في خلقه لأنه عفيف في سلوكه ، لاينظر الى جارته اذا غاب بعلها . وربيعة بن مكدم (حامي الظعينة) بطل في أفعاله ، لأنه دافع عن الظعينة دفاع المستميت ، والدفاع عن الظعينة يعني الدفاع عن المرأة التي كلف حمايتها وسط صحراء لاترحم ، ومن هنا كان هذا اللقب من ألقـاب الفخر والاعتزاز لدى الفرسان ، وبطل في مروءته لأن صفاتها متمثلة عنده . ومثلها دريد بن

---

(١) مجلة الأقلام العراقية : الجزء السادس : السنة الأولى ص ١٥٨ . مقـال بقلم الأستاذ نوري حمودي القيسي .

الصمة وعامر بن الطفيل وعروة بن الورد وحاتم الطائي وكعب بن مامة الإيادي ، وغيرهم من فرسان الجاهلية الذين كانوا أبطالاً في حروبهم وأخلاقهم ، وفرساناً في معاركهم ومثلهم العليا وسلوكهم الانساني الذي رفعهم الى المرتبة السامية في عالم القيم ، وطبيعي أن يدفعهم هذا الخلق الى أن يكونوا منصفين حتى لخصومهم ، لأن الفطرة العربية السليمة ، تملي على صاحبها ذلك ، على الرغم من كل الاعتبارات التي كانت تحيط بالمجتمع العربي آنذاك ، وعلى الرغم من كل القيم المتعارف عليها في خضم ذلك الوسط القبلي المتزمت .

إن هذا الإنصاف ، وهذا الاعتراف لم يكونا من باب التفاخر والتعالي أو التوصل الى اثبات شجاعة الفارس ، وإنما هو تقدير لمفهوم الشجاعة وإعجاب بهذه الصفة المحببة الى نفوسهم دفعتهم الى الإيمان بكل سبب يتصل بها ، فهم يدركون أن الموت يكمن لهم في رأس كل ثنية ، وعند كل ثغر ، ولكن ذلك لم يقعد بهم عن السير ، ولم يمنعهم عن الاستمرار في الطريق الذي رسموه لهم .

ومن هنا وجدنا هذا الفيض الزاخر من شعر الحرب وكل مايتفرع منه من جوانب خلقية وحربية ، أنصف بها أدبنا الجاهلي .

ان دراسة هذا الجانب الخلقي في شعر الحرب يوضح خطاً عريضاً في الأدب العربي ، يحمل المثل العليا التي تفتقر اليهـا كثير من آداب الأمم وبالتالي فهو جـانب رفيـع يستحق الاستقصاء والتتبـع لاستكمال لوازمه وابتناء هيكله العام » .

وقد حاولنا في هذا الكتاب جاهدين أن نتتبـع المنصفات ما كان

منها قصائد ، وما كان منها مقطوعات وشرحناها وحللناها وبينا مواضع الانصاف فيها ، ونرجو أن يكون هذا مقدمة لبحث أوسع وسبيلا الى اكتشاف قصائد أخرى في هذا الموضوع الذي يمثل نموذجاً رفيعاً من نماذج أدبنا العربي الخصب ، وسلوكاً انسانياً نبيلًا في عالم المثل والقيم العليا .

* * *

خاتمة

لقد قال المثل القديم ، والأمثال تجارب الأجيال :

« لو أنصف الناس لاستراح القاضي » ولو كان لي أن أزيد عليه لقلت : « لو أنصف الناس لاستراح الناس كل الناس » .

ذلك ان الانصاف يحول دون ظلم ، ويمنع كل أذى ، فلست أطلب حبك ، ولكن كن منصفاً ثم افعل ماتشاء .

قال الجاحظ[1] :

دخل رجل من قيس عيلان على عبد الملك بن مروان ، فقال له عبد الملك : « زبيري ، عميري ، والله لايحبك قلبي أبداً » فقال الرجل: «يا أمير المؤمنين ! إنما يبكي على الحب المرأة ، ولكن عدل وإنصاف .» ولسنا نستطيع أن ننتهي من هذه المقدمة الطويلة ،دون أن نذكر رأي شيخنا المعري في الانصاف والمنصفين حين قال :

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٢،٣٧٦: ٨٩ .

ولم يَأْتِ في الدُّنيا القديمةِ مُنْصِفٌ

ولا هُوَ آتٍ ، بل تظالُمُنا جَزْمٌ[1]

ورحم الله أبا العلاء فقد كان هو نفسه في طليعة المنصفين ، لم يظلم أحداً من الناس بل إنه لم يشأ أن يظلم حتى الحيوان ، حين حرّمه على نفسه ، ولكن المتشائم مولع أبداً برؤية الجانب الأسود من الحياة ، وفيه الظلم ، وبغضّ النظر عن الجانب الأبيض من الحياة ، وفيه الانصاف .

وكتابنا هذا نماذج عربية من العدل والانصاف في أشد المواقف دعوة الى الظلم والاجحاف ، في قلب المعركة .

دمشق ٢٣ / ١ / ١٩٦٧

عبد المعين الملوحي

---

(١) اللزوميات : الطبعة الهندية ص ٢٢٨ . والجزم: الحتم والقطع . قال المبرد : إنما سمي الجزم في النحو جزماً لأن الجزم في كلام العرب القطع . (لسان العرب مادة : جزم .)

المنصفات

المنصفة الأولى

المفضل النكري

- الشاعر
- تخريج القصيدة
- مناسبتها
- جوها
- مواضع الانصاف فيها

الشّاعِر

اختلفت كتب الأدب في نسبة القصيدة ، فذكر الأصمعي [١] أنها للمُفَضّل النُّكريّ ، وهو المُفَضّلُ بن مَعشر بن أسحمَ بن عدي ابن شيبان بن سُوَيْد بن عُذرةَ بن مُنَبِّه بن نُكرةَ بن لُكَيْز بن أفصى بن عَبد القيس ، ونُكْرةُ بضم النون وسكون الكاف ، ويقع في كثير من الكتب البكري مصحفاً .

والمفضل شاعر جاهلي .

وذكر السيوطي [٢] أن اسمه عامر بن معشر بن أسحم .. وانما سمي مفضلاً لهذه القصيدة .

وقال ابن سلام [٣]: « فَضّلهُ قصيدتُه التي يقال لها المنصفة » .

وذكر الخالديان [٤] في الأشباه والنظائر أن القصيدة لعامر بن معشر بن أسحمَ ، ولعله عمُّ المفضل ، واليه تنسب القصيدة .

وذكرت مثل ذلك كتبٌ أخرى .

وهكذا نجد أنفسنا أمام روايات ثلاث :

---

(١) الأصمعيات . تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون من ص ٢٣٠ - ٢٣٥ الطبعة الأولى .

(٢) شرح شواهد المغني للسيوطي ص ٦٢ .

(٣) طبقات الشعراء لابن سلام ص ١٢١ .

(٤) الخالديان : الأشباه والنظائر : الجزء الأول : بحث المنصفات . تحقيق الدكتور محمد يوسف . من ص ١٤٩ الطبعة الأولى .

أولها : أن القصيدة للمفضل النكري .

وثانيها : أن القصيدة له وأن اسمه عامر بن معشر بن أسحم وانما لقب المفضل لهذه القصيدة المنصفة .

وثالثها : أن القصيدة لعم المفضل واسمه عامر بن معشر بن أسحم.

ولسنا نستطيع القطع باحدى هذه الروايات ، وإن كنا نفضل الرواية الأولى ، والحق أن كل ما نعلم عن هــذا الشاعر لا يتجاوز اسمه وقصيدته او مختارات منها في كل ما أمكننا الرجوع اليه من مصادر الأدب العربي ؛ وما أكثر ما رجعنا اليه منها .

• • •

مناسبة القصيدة

قال المفضل منصفته هذه في حرب وقعت بين قبيلتين من قبائل العرب هما :

بنو لُكَيْزٍ ، ووردت في بعض الروايات « حُيَيٍّ » — ولُكَيْز قبيلة الشاعر —

وبنو لُجَيم ، وهم لُجَيْمُ بنُ صعب بن علي بن بكر بن وائل. ويذكر الشاعر ان بين القبيلتين نسباً وصهراً وحقوقاً ، ونشبت المعركة في « بطنِ أُثال » وفي صحراء « ذي طُرَيْف » ثم في « ذي الطرفاء » وابتدأت برشق النبال ، ثم بالرماح ، ثم بالسيوف ، وكان من قواد لجيم وفرسانها : ثَعْلَبَةُ بنُ سيار ، وأسماه الشاعر « ثعلبةَ بنَ سَير » وقد قتل في المعركة كما قتل الحارثُ الوَضّاحُ ، وفَر « ابنُ قُرّان » جريحاً كما قتل أعداؤهم فتى منهم كريماً ، واستمر القتال بين الفريقين حتى

شبعت السباع ، وصبر الفريقان ، وعندئذ تذكروا ما بينهم من وشائج القربى والحقوق فكفوا عن الحرب .

ولم نعرف عن المعركة أكثر مما ورد في القصيدة .

• • •

تخريج القصيدة

جمعنا القصيدة من ثلاثة مصادر أساسية :

أولها الأصمعيات . وهي الأصمعية رقم ٦٩ ، وفيها ٣٩ بيتاً .

وثانيها : الأشباه والنظائر ، وقد عدها الخالديان المنصفة الأولى وفيها ١٨ بيتاً ، وردت كلها في اختلاف يسير في رواية الأصمعيات .

وثالثها : حماسة البحتري : وفيها ١٣ بيتاً وردت كلها كذلك في المصدر الأول .

وقد أشرنا الى مراجع الأبيات عند ذكر كل بيت .

وهنالك مصادر أخرى تكتفي بالبيت الواحد أو البيتين ، واكثرها يورد من الابيات مافيه شاهد نحوي أو لغوي .

• • •

جو القصيدة (١)

صدر القصيدة حنين الى هؤلاء الجيرة قوم سُلَيْمى الذين رحلوا عنه ، وخلوه لأحزانه وأشواقه ، فدمعه يجري فلا ينقطع ، وقلبه مشوق

---

(١) اعتمدنا على الأصمعيات من تحقيق الأستاذين : احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون في الحديث عن جو القصيدة .

الى ذكراها ، وقد ساق في ذلك وصفاً لها ولحديثها ، وهو حديث يأسر المستمع . ثم يطلب وداعها ، رغم مافي حديثها من طيب ، وينتقل الى المعركة في بطن أثال ، ويفدي بخالته بني لكيز ، وقد صبروا على الشدائد ، ودفعوا المنايا يوم جاءهم أعداؤهم كالعارض البرِد ، وجاؤوهم كالسيل يضيق به الطريق ، وبدأت المعركة بالقسي والنبال ، حتى كأن النبل جرادٌ تسوقه وتقلبه ريح الشمال . وذكر كذلك بني عمرو بن عوف ، وأبناء « العمور » وأنصفهم ، ثم وصف الحرب بالرماح والحرب بالسيف ، واشتد القتال حتى هر الفريقان ، كما تهر أجمة القصب أشعلت فيها النار ، وكان من نتائج المعركة ، في كل مكان ، جماجم مفلوقة ، ومعاصم مبتورة ، وسادات تلفظ أنفاسها بين شهيق وزفير ، وقتلى تشبع منها السباع والضباع حتى تراها ممتلئة تشهق وتتجشأ من شبع وريّ ، بل إن الغربان شبعت فهي تنعق فرحة سعيدة ، ونساء الفريقين نائحات نادبات لايسوغ لهن ريق ، ولا ترقأ لهن دمعة .

ويعدد المفضل بعد ذلك القتلى من الفريقين ، فقد هلك ثَعلَبة وهرب ابنُ قُرّان ، ومات الحارثُ الوضّاحُ ، ولما بلغت الحرب مداها وأيقن كل من الفريقين أن صاحبه صابر ، تذكروا ما بينهم من أنساب وحقوق ، وعطف الفريقين الحنين والقرابة فكفوا عن القتال وتهادنوا وأطلقوا الأسرى .

• • •

الانصاف في القصيدة

يكاد الإنصاف يتجلى في اكثر ابيات القصيدة ، فقد جاءهم اعداؤهم

كالعارض البرد ينصب انصباباً ، ومضوا الى اعدائهم كأنهم السيل المتدفق (البيت ١١) ومشوا إلى اعدائهم حاقدين يريدون اخذ ثاراتهم ، ومشى إليهم اعداؤهم حاقدين (البيت ١٢) ثم يصف ما كان بينهم من رشق بالنبال تغص به الحناجر ، واكثر الوصف يتجه الى (الأبيات ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦) ثم يعطف الى ذكر الشجر الذي تصنع منه النبال ، فالسد ضعيف والنبع وثيق (البيت ١٧) وينتقل الى وصف الجهم ثعلبة ابن سير فقد أضر بمن ساقهم الى الحرب ، ولكنه حمى ابناء عمرو بن عوف ، وفي العمور من هو شفيق على أهله وصحبه (الأبيات ١٨، ١٩، ٢٠) ويبلغ الانصاف مداه حين ينتقلون من الطعن بالرماح الى الضرب بالسيوف وانه لضرب يزيل الهام عن مقيله ، ويهرون ويصوتون ، كما تهر أجمة القصب حين تحترق ، ويتساقطون صرعى ، ففي كل مكان منهم ومن أعدائهم جمجمة مفلوقة أو بنان مبتور ، وسيد يحشرج ، وقد شبعت السباع من قتلى الفريقين ، وعكفت الضباع عليهم ، وفرحت الغربان بهم وبكت نساء الفريقين جميعاً حتى صحلت أصواتهن من النحيب والعويل (الأبيات ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) .

وهنا ينتقل الشاعر الى ذكر القتلى من الفريقين ، ولاندري مادعاه الى عد قتيلين من أعدائه هما ثعلبة بن سير والحارث الوضاح ، وزاد على ذلك فذكر هرب ثالث هو ابن قران ، وقد أنقذته فرسه مسرعة وهو جريح ، والى ذكر واحد من قبيلته كان فتى كريما ، ولكنه لم يذكر اسمه . ولعل الشاعر اكتفى بذكر بعض من قتل ، بعد أن قال ان القتلى بين الفريقين كانوا كثراً يملؤون الأرض ويشبعون السباع ، (٣١ – ٣٦) .

وفي البيت السابع والثلاثين : يذكر أن الفريقين تذكرا مابينهما من الإخاء والحقون فكفا عن القتال .

لايلبث الشاعر أن يترجح موقفه من الإنصاف ، حين يذكر في البيتين ٣٨ — ٣٩ أنهم أبقوا على أعدائهم من لـُجَيْم ، ولو شاؤوا لتركوهم هباء لاتسير لهم فرس ، ولا تخب بهم ناقة ؛ ولكنهم أنعموا عليهم بعد بؤس وأطلقوا لهـم أسراهم ، ففي كل بيت من بيوتهم طليق يتحدث بفضل قبيلة الشاعر .

ولعل الشاعر يقصد فيما أحاط جو القصيدة من إنصـاف الى أن أعداءهم قد فعلوا بهم مثل هذا المعروف ليتم عليه ما عرف به من إنصاف .

وسوف يرى القارىء أن القصيدة الثانية من المصنفات اكثر حرصاً على الإنصاف من هذه القصيدة ، وأكثر دقة في مراعاة الجانبين .



القَصِيدَة

قال المُفضَّلُ النُّكْرِيُّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اَسْتَقَلُّوا
فَنِيَّتُنَا وَنِيَّتُهُمْ فَرِيقُ (١)

فَدَمْعِي لُؤْلُؤٌ سَلِسٌ عُراهُ
يَخِرُّ على المَهاوي ما يَلِيقُ (٢)

عَدَتْ مارُمْتَ إِن شَحَطَتْ سُلَيْمى
وأَنتَ لِذِكرِها طَرِبٌ مَشُوقُ (٣)

---

(١) (أ) و (ش)

المفردات : استقل القوم : ذهبوا وارتحلوا ، النية : الوجه الذي ينويه المسافر . في اللسان : نية فريق متفرقة .

معنى البيت : لقدرحل أحبابنا وجيراننا ، ورحلنا، وكل يمضي في طريق.

(٢) في (أ)

المفردات : العُرى : جمع عروة : وهي طوق القلادة ، المهاوي : جمع مهوى ، وهو موضع الهوي . يليق : يحتبس ويثبت .

معنى البيت : ولما رحلوا تساقطت دموعي في كل مكان ، فهي لا تجف ، كأنها لؤلؤ منثور .

(٣) في (أ)

المفردات : شحطت : بعدت .

معنى البيت : لقدتجاوزت سليمى ما كنت تطلبه منها وتبغيه ، وهجرتك وأنت ما تزال تحن الى لقائها وتشتاق ديارها .

فَوَدِّعْهــــا وَإِنْ كانتْ أَنَاةً

مُبَتَّـلَةً لَهـــا خَلْـقٌ أَنِيـقُ (٤)

تُلَهِّي المَرْءَ بالحُـــدْثانِ لَهْواً

وَتحدِجُهُ كما حُدِجَ المُطِيقُ (٥)

فَإِنَّكَ لو رأيتَ غَداةَ جِئْنــــا

بِبَطْنِ أُثالَ ضاحِيَةً نَسُوقُ (٦)

---

(٤) في (أ) .

المفردات : الأناة : المباركة الحليمة المواتية . المبتلة : التامة الخلق وفي هامش الشنقيطية : يركب بعض لحمها بعضاً .

معنى البيت : ومهما يبدُلك من حسنها وجمالها وكريم خصالها فلست تملك غير وداعها .

(٥) في (أ)

المفردات : الحِدُثان : بكسر الحاء وضمها : جمع الحديث . وفي هامش الشنقيطية : الحدثان : الحديث . تحدجه في اللسان « هو مثل ، أي تغلبه بدلها وحديثها . » وفي صلب الشنقيطية : « اي تحدج عليه الحدج ، وذلك من غلبتها عليه . » المطيق : المطوّق .

ومعنى البيت : من استمع اليها استهوته بحديثها وغلبته على أمره فهو ينقاد اليها كأنها تضع في عنقه طوقاً لا ينجو منه .

(٦) في (أ)

المفردات : بطن أثال : موضع . ضاحية : أي علانية وجهاراً . —

فِـداءٌ خـــالتي لبَنِي لُكَيْزٍ
خصوصاً يَوْمَ كُسُّ القَوْمِ رُوقُ[7]

هُمُ صَبَروا وصَـبْرُهُمُ تَليـــدٌ
على العَزَّاءِ إذ بَلَـــغَ المَضِيقُ[8]

وَهُمْ دَفَعوا المَنِيَّـــةَ فاستَقَلَّتْ
دِراكاً بعدما كادَتْ تَحِيقُ[9]

— معنى البيت :

يترك الغزل في هذا البيت ، وينتقل فجأة الى الحرب ... فيقول :

لورأيتنا يوم سرنا الى القتال في بطن أثال ، ونحن نسوق جيادنا جهاراً، وجواب لو محذوف ، وتقديره : لرأيت شيئاً عظيماً .

(٧) في (أ) و (ش)

في (أ) : لبني حُيَيٍّ

المفردات:في صلب الشنقيطية : الكَسَسُ : قصر الأسنان . والرَوَق طولها . وأراد أنه اذا قتل قلص عن أسنانه فتبين روقاً . والكس : جمع أكس وهو طويل الأسنان .

معنى البيت :

أفدى بخالتي أهلي من بني لكيز ، ولا سيما يوم المعركة حين قتل من قتل وكانت أسنانهم قصاراً فتقلصت شفاههم بعد الموت عن اسنانهم فبدت طوالاً .

(٨)و(٩) في (أ)

المفردات : التليد : أراد به القـــديم ، وأصله المال القديم ، —

تَلاقَيْنـا بِسَنْبَسَ ذي طُرَيْفِ
وَبعْضُهُمُ على بَعْـــضٍ حَنِيقُ[10]
فجاؤُوا عـــارِضاً بَرِداً وَجِئْنا
كَمِـثْلِ السَّيْلِ غصَّ به الطَّريق[11]

ـالعزّاء : الشدة . تحيق : تقع . دراكاً : متتابعا .

ومعنى البيتين :

يصف بني لكيز فيقول :

إنهم هم الذين صبروا في القتال ، وكان صبرهم قديماً في كل نازلة وشدة تبلغ فيها النفوس الحناجر ، وهم ردوا عنا منايانا ، فَوَلَّت عنا ، وقد كادت تحل بنا .

(١٠) و (١١) في (أ) و (ش) و (ب)

في (أ) : «بغيبة ذي طريف» ، وفي النسخة المطبوعة « بغنية » .

في (أ) : كسيل العرض . وفي (أ) و (ب) ضاق به الطريق .

المفردات : السَّنْبس :القَفْرُ . طريف : مصغراً موضع بالبحرين كان لهم فيه وقعة . والغيبة :الهبطة من الأرض . وفي المطبوعة بغِنْية : وهي بكسر الغين موضع باليمامة . وعارضاً : أي كالعارض ، وهو السحاب يعترض في أفق السماء . والبَرِدُ : ذو القر والبرد . العرض : بكسر العين الوادي . وقد مرت هذه الصورة في البيت الخامس من منصفة عبد الشارق بن عبد العزى :

وجاؤوا عارضاً بَرِداًوجئنا كمثل السيل نركب وازعينا

ومعنى البيتين : —

مَشَيْنا شَطْرَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنـــا
وَقُلْنا : اليوم ما تُقْضى الحُقُوقُ[١٢]

رَمَيْنـــا في وجوهِهِـمُ بِرَشْقٍ
تَغَصُّ به الحنـاجرُ والحُلُوقُ[١٣]

كَأَنَّ النبـــلَ بَيْنَهُـــمُ جَرَادٌ
تُكَفِّيـــه شَـــآمِيَةٌ خَرِيقُ[١٤]

— تلاقينا في وادي ذي طريف ، وكل منا يحمل من الحقد على صاحبه مثلما يحمل صاحبه من الحقد عليه ، فكانوا كأنهم السحاب المنهمر ذو القر والبرد ، وكنا كأنا السيل المتدفق يضيق به الطريق .

(١٢) في (أ) ما : الأصح اعتبارها زائدة .

معنى البيت :

سرنا اليهم وساروا الينـــا ، وكلانا يقول : اليوم نقضي حقوقنا وننال ثاراتنا .

(١٣) في (أ) و (ب) :

المفردات : الرّشق : بالفتح : الرمي بالسهام . والرِّشق بالكسر ما يرشق من السهام .

ومعنى البيت :

رميناهم بالسهام رمياً تغص به حناجرهم وحلوقهم .

(١٤) في (أ) و (ب) و (ش) : —

قَليلٌ مـا تَرى فيهـم كَمِيـــاًّ

كَبا لِيَدَيْه إلا فِيـــه فُوقُ (١٥)

يُهَزْهِزُ صَعْدَةً جرداءَ فِيهـــا

سِنانُ المَوْتِ أَوْ قَرْنٌ مَحيقُ (١٦)

— في (ش) : تصفقه يمانية .

المفردات : تكفئه وتكفيه : تقلبه وسهل الهمزة . شامية : ريح تهب من الشام . الحريق : الباردة الشديدة الهبوب .

معنى البيت :

كأن النبل الذي يتساقط بين صفوفهم جراد تقلبه ريح شآمية عاتية .

(١٥) في (أ) ، و (ب) و (ش)

في أ : وبسلٌ أن ترى . وفي ب وبسلٌ ماترى .

المفردات في صلب الشنقيطية : البسل : من الأضداد يكون للحلال والحرام وهو هنا الحرام . الفوق : بالضم : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . كبا ليديه : وقع على وجهه .

ومعنى البيت : قل أن تجد منهم فارساً قتيلًا إلا وفيه سهم قاتل .

(١٦) في (أ)

المفردات : الصعدة : القناة المستوية . قرن في صلب الشنقيطية : كانت العرب تضع مكان الأسنة القرون . والمحيق : المدلوك المدد .

وترى الفارس قبل أن يموت يتحرك فيها فيهتز في جسده السنان الذي يحمل اليه الموت ، او القرن المحدد الذي أصابه مع السهم .

وَجَدْنا السِّدْرَ خوَّاراً ضعيفاً
وكان النَّبْعُ مَنْبِتُهُ وَثِيقُ (١٧)
لَقِينا الجهْمَ ثَعْلَبَةَ بنَ سَيْرٍ
أَضرَّ بمن يُجَمِّعُ أو يَسُوقُ (١٨)
لَدَى الأعْلامِ مِنْ تلَعاتِ طفل
ومِنْهُمْ مَنْ أَضجَّ به الفُروقُ (١٩)
فَحَوَّطَ عن بني عمروِ بن عوفٍ
وأفناءُ العُمورِ بها شَفِيقُ (٢٠)

---

(١٧) في (أ) .

المفردات : السدر والنبع : نباتان تتخذ منها القسي والسهام .

معنى البيت : انا نصنع سهامنا وأقواسنا من النبع ، وقد وجدناه شديداً قويا ، وتركنا صنعها من السدر الضعيف الخوار .

١٨ - ١٩ - ٢٠ وردت في (أ) .

المفردات : ثعلبة بن سير : يعني به ثعلبة بن سيار كما سيأتي في شرح البيت ٣٤ . الأعلام : جمع علم وهو الجبل . أضَجَّ : صاح وجلب. والفُروق : موضع أوماء في ديار بني سعد .

ومعنى الأبيات :

لقد أضر ثعلبة بن سيار بأصحابه الذين جمعهم وساقهم في تلعات –

فَأَلْقَيْنا الرِّماحَ ، وكان ضَرْبٌ
مَقيلُ الهـامِ كُـلٌّ مايَذُوقُ (٢١)
وَجاوزْنَا المَنُونَ بغـير نِكْسٍ
وخَاظِي الجلْزِ ثَعْلَبُهُ دَمِيقُ (٢٢)

ـ طفل ، وفي فروق ، واستطاع أن يرعى بني عمرو بن عوف بعض الرعاية ، وأن يجد في أحياء العمور من يشفق عليه ، وهم أهل الشفقة والرحمة .

(٢١) في (أ) ، و (ب) .

في (أ) : وكان ضربا .

المفردات : الهام : جمع هامة ، وهي أعلى الرأس ، ومقيله : موضعه . ولما احتدمت المعركة القينا برماحنا ، وسللنا سيوفنا نضرب بهـا الهام فنفلقها ونذيقها طعم الموت .

(٢٢) في (أ)

المفردات : النكس : سهم لا خير فيه ، الخاظي : الغليظ الصلب وفي صلب الشنقيطية : « الجلز اصل السنان ومعظمه . والثعلب ما دخل في جبة السنان من الرمح ، وانما يعني سهماً » ونراه عني بالنكس السهم وبما بعده الرمح . الدميق : المدخل . يقال : دمقه فهو مدموق ودميق أي أدخله . يتمم المعنى فيقول : وتركنا القتل بالرمح والسهم الى القتل بالسيف .

كَأَنَّ هَرِيرَنا لَمَّا الْتَقَيْنا
هَرِيرُ أَباءَةٍ فيها حَريقُ (٢٣)

بِكُلِّ قَرارَةٍ منا ومِنْهم
بَنانُ فَتىً وجُمْجُمَةٌ فَلِيقُ (٢٤)

وَكَمْ مِنْ سَيِّدٍ منا ومنهمْ
بذي الطَّرْفاءِ مَنْطِقُهُ شَهيقُ (٢٥)

---

(٢٣) في (أ) ، و (ب) .

في (أ) : هزيزنا ، هزيز .

المفردات : هزيز : الصوت وأصله صوت دوران الرحى أو صوت حركة الريح ، والهرير: صوت الكلب دون نباحه من قلة صبره على البرد. والاباءة: أجَمَة القصب ، ويروى : أشاءة وهي الواحدة من النحل . وفي قول كعب ابن مالك :

من سره ضربٌ يرعبل بعضه بعضاً كمعمعة الأباء المحرق

ومعنى البيت :

كان أصواتنا يوم المعركة صوت أجمة تحترق .

٢٤ ـ ٢٥ : في (أ) و(ب) و(ش) .

في (أ) : بكل قرارة وبكل رَيْع .

المفردات : القرارة : المطمئن من الأرض . والريع بفتحها و كسرها : المكان المرتفع . ذو الطرفاء : موضع .

بِكلّ مَجَالَةٍ غادرتُ خِرْقــاً
من الفِتيانِ مَبْسِمُه رَقيقُ [٢٦]
فَأَشْبَعْنا السبــاعَ وأشبعُوهـــا
فراحتْ كلُّهـا تَئِقٌ يَفُوق[٢٧]

— معنى البيتين :

في كل مكان تجد بناناً مقطوعة ، أو جمجمة مفلوقة لواحد منا أو واحد منهم ، وفي الطرفاء تجد عدداً من سادتنا وسادتهم يلفظون أنفـــاسهم الأخيرة فحديثهم شهيق .

(٢٦) في (أ) .

المفردات : الخـرق ، بالكسر : الكريم المتخرق في الكرم ، ومن الفتيان : الظريف في سماحة ونجدة .

ومعنى البيت :

تركنا في كل ميدان من ميادين القتال فتياناً هم زين الفتيان ، وقد قلص الموت أفواههم ورقق شفاههم .

(٢٧) في (أ)و(ب)و(ش)

في (ب) : فأشبعنا الضباع .

المفردات :

التئق : الممتلىء شبعاً ورياً . فاق يفوق فواقاً : أخذه البهر وشخصت الريح من صدره .

ومعنى البيت :

لقد شبعت السباع من قتلانا وقتلاهم وراحت يكظها الطعام فهي تفوق وتتجشأ .

تَرَكْنا العُرْجَ عـــاكفةً عَلَيْهِمْ

وللغِرْبانِ من شِبَــعٍ نَغيقُ[28]

فَأَبكَيْنـا نِساءَهُمُ وأَبْكَوْا

نِساءً مـا يَسوغُ لَهُنَّ رِيقُ[29]

يُجـــاوِبْنَ النِّيـاحَ بِكُلِّ فَجْرٍ

فَقَدْ صَحِلَتْ مِنَ النَّوْحِ الحُلوقُ[30]

---

(٢٨) في (أ) :

المفردات : العرج : الضباع . النعيق والنغيق : صوت الغراب .

معنى البيت :

وتركنا الضباع تعبث بقتلانا وقتلاهم ، والغربان تنعق لما نالها من شبع .

(٢٩) و(٣٠) في (أ) ، و (ش)

في (ش) : مايجف لهن موق : والموق : مؤخر العين

المفردات : صحل : بُحَّ .

ومعنى البيتين :

بكت نساؤنا على ما أصابنا ، وبكت نساؤهم على مـــا أصابهم فهن لايرقأ لهن دمع ، ولايسوغ لهن ريق ، اذا سمعن النائحات رددن عليهن ، فقد جفت حلوقهن وبحت أصواتهن من النواح والنحيب .

قَتَلْنـا الحارثَ الوَضَّاحَ مِنهمْ

كَأَنَّ سَوادَ لِمَّتِـهِ العُذُوقُ (٣١)

تَعَاوَرُهُ رِمـاحُ بـني لُكَيْزٍ

فَخَرَّ كَأَنَّهُ سَيْـــفٌ دَلُوقُ (٣٢)

---

(٣١) في (أ) و (ب) و (ش) .

في (أ)

قتلنا الحارث الوضاح منهم فخر كـأن لمتـه العذوق

في (ش)

تركنا الأبيض الوضاح منهم كأن سواد قلته العـــذوق

المفردات : القلة : الرأس . واللمة الشعر المجاوز شحمة الأذنين ، العذوق : جمع عذق وهو بكسر العين : العرجون بما فيه من الشماريخ .

(٣٢) في (أ) و (ش) .

في (أ) أصابته رماح بني حيي

الدلوق : السلس الخروج من غمده من غير سل ، وهو أجود السيوف وأخلصها .

معنى البيتين :

قتلنا منهم سيداً هو الحارث الوضاح فخر وقـــد غطى شعره الأسود رأسه كما تغطي الشماريخ العرجون ، وتناوشته رماحنا فسقط كما يسقط السيف من غمده .

وَقَدْ قَتَلُوا بِهِ مِنَّا غُلامـاً
كَرِيماً لم تَأَشَّبْــهُ العُروقُ[٣٣]

وســائلةٍ بِثَعْلَبَــةَ بنِ سَيْرٍ
وقد أَوْدَت بِثَعْلَبَـةَ العَلُوقُ[٣٤]

وَأَفْلَتَنـا ابنُ قُرَّانٍ جَريضـاً
تَمُرُّ به مُسـاعِفَةً حَرُوقُ[٣٥]

---

(٣٣) في (أ) ، و (ب) و (ش)

في (ب) ما تخونه العروق : وفي (أ) : لم تؤشبه

المفردات : لم تأشبه : لم تخالطه والتأشيب من الأشب وهو الخلط.

ومعنى البيت : وقتلوا منا بالحـارث الوضاح فتى كريماً صافي النسب محض النجار .

(٣٤) في (أ) و (ب) .

في (ب) : ثعلبة بن شبل ، وقد علقت بثعلبة .

المفردات : في اللسان : يريد ثعلبة بن سيار فغيره للضرورة . ومثله في العقد . العلوق : بفتح العين المنية ، صفة غالبة .

معنى البيت :

ورب سائلة تسألنا : أين ثعلبة ؟ ولم تدر أن المنية قد أودت به .

(٣٥) في (أ) و (ش)

في (ش) : يمر به مساعَفَة مَروق —

تَشُقُّ الأَرضَ شائِلَةَ الذُّنابي
وهادِيها كَأَنْ جِذْعٌ سَحُوقُ (٣٦)

فلما استَيْقَنُوا بالصَّبْرِ مِنّا
تُذُكِّرَتِ الأواصرُ والحُقوقُ(٣٧)

— المفردات : الجريض : المغموم الشديد الهم . يجرض بريقة : يغص به. حروق : في هامش الشنقيطية : يعني فرساً . وحروق في النسخة المطبوعة خزوق : ويقال: ناقةخزوق: تخزق الأرض بمناسمها أو إذا مشت انقلب منسمها فخد في الأرض . وأماحروق فقد جاءفي اللسان : فرس حراق العدو ، إذا كان يحترق في عدوه .

ومعنى البيت :

ونجا منا ابن قران مجهداً ، وماكاد ينجو ، وقد أسعفته في فراره فرسه.

(٣٦) في (أ)

المفردات : الهادي : العنق لتقدمه . والجذع : ساق النخلة والسحوق : الطويل .

معنى البيت : يتابع وصف الفرس التي نجا عليها ابن قران . فهي فرس كريمة تشق الأرض شقا ، وترفع ذيلها ، طويلة العنق كأن عنقها جذع شجرة سامقة .

(٣٧) في (أ) و (ش)

في (أ) : تذكرت العشائر والخزيق

المفردات : الخزيق : الجماعة من الناس . —

فَأَبقَيْنا ولو شِئْنا تَرَكْنا
لَجُيْما لا تَقودُ ولا تَسوقُ(٣٨)

وَأَنعَمْنا وَأَبْأَسنا عَلَيْهِمْ
لَنا في كُلِّ أَبياتٍ طَليقُ (٣٩)



— ومعنى البيت : لما عرفوا صبرنا في القتال ، وذقنا صبرهم ، تذكرنا وتذكروا ما بيننا من أواصر القربى ووشائج المودة فكفوا عنا وكففنا عنهم .

(٣٨) (٣٩) ، ورد ٣٨ في (أ) ، و (ش) و ٣٩ في (أ) في (ش) لجيما لا يقود ولا يسوق .

المفردات : لجيم : قبيلة . وهم لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . القود : نقيض السوق : يقود الدابة من امامها ، ويسوقها من خلفها واكثر ما يكون القود للخيل ، واكثر ما يكون السوق للابل .

معنى البيتين :

عندما تذكرنا قرابتنا أبقينا عليهم ـ ولو أردنا لما قامت لقبيلة لجيم قائمة ، ولم تستطع قود الخيل ولا سوق الابل ، وهكذا أنعمنا بالبقيا عليهم وأبأسنا بقتلهم ، ففي كل بيت من بيوتهم أسير أطلقنا سراحه ـ وكان من حقه وهو المنصف أن يقول : وأبقوا علينا وانعموا وابأسوا ففي كل بيت من بيوتنا أسير اطلقوا سراحه .

المنصفة الثانية

عبد الشارق بن عبد العزى الجهني

- الشاعر
- تخريج القصيدة
- مناسبتها
- جوها
- مواضع الانصاف فيها

الشاعر

وكما اختلف الرواة في نسبة المنصفة الأولى . وفي اسم صاحبها اختلفوا في نسبة القصيدة الثانية .

ففي حماسة [1] أبي تمام أنها لعبد الشارق بن عبد العُزّى الجُهَني ، وفي حماسة [2] البحتري أنها لسَلَمة بن الحجّاج الجهني ، وفي الأشباه [3] والنظائر للخالديين أنها لعبد الشارق بن عبد العزيز الجهني .

ومما سبق تبين أن الرواة الثلاثة اتفقوا على أنها لشاعر من جُهَيْنَة ثم اختلفوا فرأى اثنان منهم أنها لعبد الشارق ثم اختلفا في الأب أهو عبد العزى أم عبد العزيز ، وليس هذا الخلاف كبيراً ، فالعزى والعزيز مشتقان من العزة ، والعزى صنم ، وهو تانيث الأعز ، وقد كان بعض الرواة يبدلون أسماء الجاهلية ورعاً وتقوى ولعلهم قالوا عبد العزيز تورعاً من أن يقولوا عبد العزى ، كما فعل بعضهم في امرىء القيس .

وانفرد البحتري في نسبة القصيدة لسلمة بن الحجاج .

ونحن لا نملك تأريخاً ولا ترجمة مفصلة ولا غير مفصلة لصاحب المنصفة الثانية .

كل ما نعرفه أن عبد الشارق كما يظهر من تسميته شاعر جاهلي ، قال في

---

(١) حماسة ابي تمام شرح المرزوقي تحقيق أحمد امين وهارون ص ٢٣٢

(٢) حماسة البحتري تحقيق كمال مصطفى ص ٦١ - ٦٢

(٣) الأشباه والنظائر للخالديين تحقيق محمد يوسف ص ١٥٢ - ١٥٣ .

المبهج [1] اسم صنم لهم . ويجوز أن يكون عبد الشارق من قولهم الشارق ، وهو قرن الشمس . كقولهم : لا أكلمك ماذر شارق أي ماطلع قرن الشمس ، فقولهم اذن عبد الشارق كقولهم عبد شمس . وكذلك عبـــد العزى نسبة الى صنم من أصنام الجاهلية .

ويقرر الشاعر في قصيدته أنه من بني جهينة ،فهو ينتسب إليها ويفاخر بها ويستثير حماسة أصحابه بها ، وأن له أخا هو جوين قتل في المعركة ، وكان ذا حفاظ وشجاعة .

هذا كل ما استطعنا أن نعثر عليه في كتب الأدب ، وفي القصيدة من معلومات عن الشاعر ، فما أقلها .

• • •

مناسبة القصيدة

المصدر الوحيد لدينا في مناسبة القصيدة هو القصيدة نفسها . فقد دارت المعركة بين قبيلتين هما جُهَينَةُ قبيلة الشاعر وبهْثَةُ .

لا ندري أين وقعت المعركة ولا سبب وقوعها ، وكل الذي نعلمه أن قبيلة الشاعر أرسلت « أبا عمرو » رائداً ، وأن القتال نشب بالنبال ، فارتمى الفريقان أولاً فلما لم يبق قوس ولا سهم ، مشى بعضهم الى بعض بالسيوف ، وأن نتيجة المعركة كانت ثمانية قتلى : أربعة من جهينة وفيهم أخو الشاعر

---

(١) شرح حماسة ابي تمام للمرزوقي تحقيـــق احمد امين وعبد السلام هارون . الطبعة الأولى .

جُوَيْنٌ ، وأربعة من بُهْثَةَ وفيهم فارس مشهور يدعى « قَيْنا » هكذا ذكر المرزوقي ، والقين في الأصل هو العبـــد الذي يعمل في الحديد ، وعندما تكسرت الرماح وانحنت السيوف كفّ بعضهم عن بعض ، وباتوا جميعاً يئنون من الجراح التي أصابتهم ، ولايقدرون على السرى .

• • •

تخريج القصيدة

أبيات القصيدة في حماسة البحتري [١] وحماسة أبي [٢] تمام واحدة : خمسة عشر بيتاً وفي الأشباه [٣] والنظائر ستة عشر بيتاً ، بزيادة بيت واحد هو :

فَمَن يَرَنا يَقُـــلْ سيـلٌ أَتِيٌّ

نَكُرٌ عليهمُ وهمُ علينـــا

والاختلاف في رواية الأبيات يسير . وقد أشرنا الى هذا الخلاف أثناء شرح الأبيات .

• • •

---

(١) حماسة البحتري تحقيق كمال مصطفى ص ٦١ - ٦٢ .

(٢) حماسة ابي تمام شرح المرزوقي تحقيق احمد امين وعبد السلام هارون ص٤٢٤

(٣) الأشباه والنظائر للخالديين تحقيق محمد يوسف ص ١٥٢ - ١٥٣ .

جو القصيدة

افتتح الشاعر قصيدته ببيت واحد في الغزل لا ثاني له حيا فيه صاحبته ردينة ، وذكر أنه يحبها رغم بخلها عليه وصدها عنه ، ثم انتقل مقتضباً فطلب إليها أن ترى بطولته وبطولة قبيلته في الحرب ، حين غلت مراجل الحقد في نفوسهم ، فأرسلوا فارساً منهم يطلع على أخبار أعدائهم ، وأرسل أعداؤهم فارساً يتجسس عليهم ، وعاد الرسولان غانمين سالمين يحملان الأخبار .

وأقبلت بهثة كأنها العارض البرد ، وأقبلت جهينة كأنها السيل الأتي ، لايستمعون لناصح ولايرعوون لوازع ، ونادى كل واحد أهله يستحثهم على القتال والثبات في المعركة ، وقد سمعت جهينة صوتاً رابها فخافت الكمين ولكنها مالبثت أن عادت الى الصف . وبدأ الرمي بالنبال حتى تقطعت القسي ونفدت السهام ، فمشى بعضهم الى بعض بالرماح والسيوف ، كما تتلألأ المزنة للمزنة ، وكر بعضهم على بعض كأنها أتيّان يتدفقان ، وقتل من بهثة أربعة ، ومن جهينة أربعة ، منهم اخوه جوين ، ولكن قتله لم يكن شيناً له ، وانما هو زين ، وكذلك يكون قتل الفتيان .

وكثرت الجرحى بين الفريقين ، وتكسرت رماح بهثة ، وانحنت سيوف جهينة ، فكفوا عن القتال ، ولم يستطع الفريقان السرى في الليل للعودة الى ديارهم ، فكلاهما تنفث صدور جرحاه أحاح الغيظ والحقد وأنين الوجع والوجد .

• • •

مواضع الإنصاف في القصيدة

الحق أن هذه المنصفة الثانية التي قالها عبد الشارق بن عبد العزى من اكثر المنصفات إنصافاً ، وأشدها اقراراً بحق الاعـــداء ، وصدقاً عن قبيلته وقبيلتهم ، فلا يكاد يذكر شيئاً من صفات أهله حتى يبادر فيذكر مثله من صفات عـدوه . واذا كنا قد وجدنا صاحب المنصفة الأولى وهو المفضل النكري يتجـاهل بعض التجاهل ، وينكر في آخر الأبيات حق اعدائه ، ويذكر ان عدد القتلى منهم اكثر من عدد القتلى من قبيلته ، فشاعرنا عبد الشارق لايقع في مثل هذا التجاهل ، بل يراعي الجانبين في دقة تكاد تكون حسابية . فكأنّ الفريقين طرفا معادلة رياضية . وهكذا نجد في الأدب هذا اللون الطريف من الرياضيات .

واذا كنا قد ذكرنا ان بعض الرواة قد سموا هـذه القصائد « المنَصَّفات » كما في النسخة المغربية من الاشباه والنظائر ، ورأوا انهـا سمّيت كذلك لأن القصيدة جعلت نصفين بين القائل وعدوه : شطر بشطر ، وبيت ببيت ، وموقف بموقف ، فلعل خير مايدل على صحة هذه التسمية قصيدة عبد الشارق دون سواه . فلا نـكاد نجد بيتاً واحداً ليس فيـــه نصف وانتصاف .

فقد سلم في البيتين الثالث والرابع رائدا الفريقين وجاءا بأخبار العدو ، فلم يغدر بها الفريقان كما جرت عادة القبائل العربية عند الغزو في عدم الغدر بالرواد ، وقد كانوا كالسيل وكان اعـــداؤهم كالعـارض يسيل بالماء والبرد ، وقد شجع كلا الفريقين أصحابه وذكرهم بحق قبائلهم عليهم (البيتان ٥ — ٦) ، وربما كاد الشاعر يكون على أهله حين ذكر

أنهم سمعوا نبأة فخافوا الكمين ، فجاؤوا ليتأملوا فلما أمنوا رجعوا ، ولم يذكر مثل هذا الخوف ثم مثل تلك الرجعة بعد الأمان عند أعدائه ، (البيت السابع) وذكر في الابيات (٧ — ٩ — ١٠ — ١١) القتال بين الفريقين وانه كان بالنبال ثم بالسيوف ، وأنهما كانا مثل سحابتين تتلألأ احداهما للأخرى بالبرق وتلتمع .

ويذكر عدد القتلى من الفريقين ، فلا يجعل واحداً اكثر من الآخر ، ففي كل قبيلة أربعة قتلى بينهم فتى سيد ، وفي بهثة فارس كريم يدعى قيناً ، وفي جهينة فارس كريم هو جُوَيْنٌ ، (الأبيات ١٢ — ١٣) ولا ينسى في البيت الرابع عشر أن يذكر شطراً واحداً عن أخيه ، ولأخيه عليه حق ، فقد كان شجاعاً ذا حفاظ ومروءه ، ولكن الشاعر لا يلبث أن يستدرك موقفه فيأتي بحكمة عامة تشمل كل قتيل ، وتبين موقف العرب من موت الشباب في ساحة المعركة ، حين يعدون قتلهم شرفاً لهم وزيناً .

هنا ننتقل الى البيت الخامس عشر ، وهو بيت يرى فيه المرزوقي ان الشاعر جعل اعلى الصفتين لنفسه ولذويـــه ، حين ذكر ان أعداءه عادوا ورماحهم مكسرات ، وأن أصحابـــه عادوا وسيوفهم منحنيات ، ففي السيوف بقية ، ولسنا نرى رأي المرزوقي ، فقد تكون الرماح المتكسرة عند اعدائه وليس فيها بقية ، أدل على شجاعتهم في المعركة من السيوف المنحنية عند قبيلة الشاعر ، وما يزال فيها رمق للقتال ، اذا كان ذلك كذلك كان الشاعر اكثر انصافاً ومدحاً لأعدائه منه لأصحابه ، وإن لم يكن ذلك كذلك فقد أراد الشاعر المساواة بين الفريقين حين ذكر صورتين متقابلتين صورة الرماح المتكسرة ، وقل أن تنحني الرماح ، وصورة السيوف المنحنية وقل ان تتكسر السيوف .

ويعود الشاعر الى الإنصاف الكامل في البيت السادس عشر فقد باتت بهثة في الصعيد تُصَوِّتُ وتزفر وتئن ، وباتت جهينة في الصعيد تصوت وتزفر وتئن ، ولو خفت جرحى الفريقين لتركوا ساحة المعركة وعادوا إلى ديارهم غير سالمين ولا غانمين .

تلك هي القصيدة المنصفة الثانية ، وإنها لأوسط المنصفات ، في المعنى الأصيل لهذه الكلمة العربية .



القَصِيدَة

قال عبدُ الشَّارِقِ بنُ عَبدِ العُزَّى الُجهَنِيُّ (*)

ألا حُيِّيتِ عَنَّـا يا رُدَيْنَـــا
نُحيِّيها ، وَإنْ كَرُمَت عَلَينا (1)

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ غَـــداةَ جِئْنا
عَلَى أَضماتِنـــا وَقَد اجْتَوَيْنا (2)

(*) في (ب) : سَلمة بن الحجَّاجِ الجهني . في (ش) عبد الشارق بن عبد العزيز الجهني .

(1) في (ب) : البيت الأول غير موجود . في (ش) : بخلت بدل كرمت .

الألفاظ : ردينا : ترخيم ردينة .

معنى البيت : الوداع ياردينة، إنا نحييك ونودعك وقد عز علينا فراقك.

(2) في (ت) و (ش) احتوينا . وفي (ب) علمت .

الألفاظ :إذا روي احتوينا فهو من الاحتواء ، وذلك حيـــازة أموال الناس ، ونفضل اجتوينا بالجيم ، وهو افتعل من الجوى وهو الغضب والألم ، ورويت ايضاً اختوينا بالخاء المعجمة ، ويكون افتعل من الخوى وهوالفراغ. الأضمات : الغضب والحقد . وجواب لو محذوف .

لو رأيتنا ياردينة يوم سرنا الى المعركة وفي قلوبنا أحقاد وفي نفوسنا حزازات لرأيت أمراً عجباً .

فَأَرْسَلْنا أبا عَمْرٍو رَبِيئاً

فقالَ : ألا أنْعَموا بالقوم عَيْنا[3]

وَدَسُّوا فارِساً منهُمْ عِشاءً

فلم نَغْدِرْ بفارِسِهِمْ لَدَيْنا[4]

فَجاؤوا عارِضاً بَرِداً وَجِئْنا

كَمِثْلِ السَّيْلِ نَرْكَبُ وازِعَيْنا[5]

---

(٣) الألفاظ : الربيء والربيئة : الطليعة ، والمربأة : المرقبة .

(٤) في (ت) : لَـهُمُ

ومعنى البيتين :

سرنا إليهم وأرسلنا منا رقيباً يطلع عليهم فعاد إلينا يبشرنا ، وأرسلوا إلينا رقيباً منهم ، يندس بين خيولنا ويعرف سرنا وعلننا ويقف على عددنا وعدتنا فعرفناه ، ولكنا لم نبال به ، وخليناه والانصراف إليهم ولم نعبأ بطي أخبارنا عنهم .

(٥) المفردات : العارض : السحاب . الوازع : الناهي الضابط .

معنى البيت : تسارعوا مقبلين نحونا ، وكأنهم في كثرتهم وتعجلهم قطعة من السحاب فيها برد ، ونحن لكثرتنا وإتياننا على مايعترض في طريقنا كالسيل الذي لايبقي ولايذر ، ونحن جميعاً نرد من ينهانا عن الحرب ولانقاد لمن يريد ضبطنا من الجيشين معاً .

ووازعيْنا : هنا مثنى وازع : بفتح العين وسكون الياء، ولايجوز أن —

تَنادَوْا : يالَبُهْثَةَ ، إِذْ رَأَوْنــا

فَقُلْنا : أَحسِنِي ضَرْباً جُهَيْنا [٦]

سَمِعْنــا دَعْوَةً عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ

فَجُلْنا جَوْلَةً ثُمَّ ارْعَوَيْنــا [٧]

- يروي « وازعينا » بالجمع و كسر العين لما يحصل من العيب بالسناد مع ارتفاع الضرورة .

(٦) في (ت) : فنادوا ، في (ب): فقالوا في (ب) إذ لقونا .

في ب : فقلنا أحسنوا قولاً جهينا . وقد رأينا الرواية التي أوردناهــا أحسن الروايات .

المفردات : بهثة وجهينة : القبيلتان التي تدور بينها الحرب .

معنى البيت : لما شارفناهم استغاثوا ببني بهثة معتزين إليهم ، ومستمدين منهم فاستثرنا جهينة وقلنا أحسنوا الضرب والطعن . وانما يستعملون الاعتزاز في مثل هذه الحالة تهويلاً للأمر وتكثيراً للعشيرة ؛ ليستشعر كل من الفريقين الرعب من صاحبه والتهيب له .

(٧) في (ش) : نبأة .

المفردات : ارعوى : عاد وثبت .

معنى البيت : يقول : قرع أسماعنا في أثناء التهيؤ والتطالع دعوة تأدت من مكان غائب عن عيوننا فدرنا دورة ثم رجعنا الى اماكننا . وهذا يجوز أن يكونوا خافوا الكمين ، فجاؤوا يستطلعون ، فلما امنوا رجعوا .

فَلَمَّــا أَنْ تَواقَفْنــا قَليلاً

أَنَخْنــا لِلْكَلاكِلِ فَارْتَمَينا [8]

فَلَمَّـا لَمْ نَدَعْ قَوْسـاً وَسَهْمـاً

مَشَيْنا نَحْوَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنــا [9]

تَـلأْلُؤَ مُزْنَةٍ بَرَقَتْ لِأُخْرى

إِذا حَجَلُوا بِأَسْيافٍ رَدَيْنا [10]

---

(٨) في (ب) فلما أن تلاقينا وثبنا . جنحنا للكلاكل فارتمينا

المفردات : الكلاكل جمع كلكل . وهو الصدر .

معنى البيت : لما وقف بعضنا امام بعض نزلنا نتطاعن ونترامى .

هذه المواقفة التي أشرنا إليها يجوز ان تكون للتعبئة والتهيئة ، ويجوز أن تكون لتداعي الأبطال والمبارزة ، واعتراضهم بين الصفين للمطاعنة .

(٩) و (١٠) في (ش) : سهما ورُمحا .

المفردات : المزنة : السحابة . الحجل والرديان : ضربان من السير .

معنى البيتين : يقول :

لما مللنا الطراد والرماء بإفناء النبال وتعطيل القسى لانقطاع الأوتار ، مشى بعضنا الى بعض للكفاح والجلاد طلباً للاشتفاء ، كأنهم تنقلوا في درج القتال ومراتبه ، حتى بلغوا اعلاها واصعبها واولاها بدرك الثأر واحقها . ولهذا لمـــا سأل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عمرو بن معديكرب عن أنواع السلاح وانتهى الى ذكر السيف قال : عنده تثكل الأمهات . وقد تلألأ السلاح من —

فَمَنْ يَرَنا يَقُلْ : سَيْـــلٌ أَتِيٌّ
نَكُرُّ عَليْهِمُ ، وَهُمُ عَلَيْنـا[11]
شَدَدْنــا شَدَّةً فَقَتَلْتُ مِنْهُـمْ
ثَلاثَةَ فِتْيَةٍ وَقَتَلْتُ قَيْنــا[12]
وَشَدُّوا شَـــدَّةً أُخْرى فَجَرُّوا
بِأَرْجُلِ مِثْلِهِمْ وَرَمَوْا جُوَيْنا[13]

ـ الجانبين جميعاً ، وإذا كان مشيهم إلينا حجلاً كان مشينا إليهم رديانا . وهمانوعان من السير . فيقول تلألأنا لوفور أسلحتنا وبريق دروعنا وبيضنا وإيماض أعيننا تلألؤ سحابة برقت لسحابة أخرى قابلتها ..

(١١) لم يرد هذا البيت إلا في (ش) .

الألفاظ : السيل الأتي : الذي يأتي على كل شيء في طريقه .

معنى البيت : من يرنا عندما تقابلنا وكررنا عليهم وكروا علينا يخيل له أنه أمام سيلين جامحين لا يقف في طريقهما شيء .

(١٢) في (ب) : ورميت قيناً . في (ش) : واسرت قينا .

(١٣) في (ب) : وشدوا مثلها أخرى علينا فجروا امثلهم ورموا جوينا

معنى البيتين :

حملنا علينا حملة منكرة فأصبنا منهم ثلاثة من الفتيـــان وقتلت قيناً وقين اسم رجل كان مشهوراً فيهم بالبأس والنجدة فلذلك عين عليه ، وحملوا حملة فأصلوا منا مثل ما أصابنا منهم ورموا جوينا اخي .

وَكانَ أَخي جُوَيْنٌ ذا حِفَاظٍ
وكانَ القَتْلُ لِلفتْيانِ زَيْنا (١٤)

فَآبُوا بالرِّمَـاحِ مُكَسَّراتٍ
وَأُبْنـا بالسُّيوفِ قَد انْحَنَيْنا (١٥)

---

(١٤) - (١٥) المفردات : الحفاظ : الشجاعة والغضب للشرف .

(١٤) في (ب) : محطمات .

معنى البيتين :

نبه على أنّ أخاء جويناً بحسن محافظته على الشرف ، وجميل مدافعته دون العشيرة ثبت حتى قتل ، وأن قتلته كانت قتلة محمودة تزين ولا تشين ، وقوله : فآبوا بالرماح مكسرات ، وأبنا بالسيوف منحنيات ، جعل منه أعلى الصفتين لنفسه وذويه . هذا رأي المرزوقي ، وما نظن الشاعر قصد الى عدم الإنصاف ، وإنما هما صورتان للرماح المكسرة وهي لأعدائه ، وللسيوف المنحنية وهي لقومه ، وقد تكون الرماح المكسرة أدل على الصدام والقتال من السيوف المنحنية ، وعند ذلك تكون أعلى الصفتين لأعدائه .

وباتُوا بالصَّعيدِ لَهُمْ أُحَـــاحٌ

ولَوْ خَفَّتْ لنا الكَلْمَى سَرَيْنا(١٦)



(١٦) في (ب) وباتوا ليلهم ولهم أحاح

ولو خفت لنـــا الجرحى سرينا

المفردات : الأحاح : العطش ، وقد قيل شدة الوجد من الغيـظ حتى يسمع له من الصدر صوت .

معنى البيت : بقوا ليلهم يئنون على الصعيد ، وهو وجه الأرض ولو ساعدتنا الطائفة المجروحة منا وقدرت على السرى لسرينا ، لكن كلاً منا اضطر إلى الإقامة والتلوم ريثما تثوب اليه القوى بعد لحوق الجهـد ومشارفة الردى .

المنصفة الثالثة

العباس بن مرداس السلمي

- الشاعر
- تخريج القصيدة
- مناسبتها
- جوها
- مواضع الانصاف فيها

الشَّاعِر

لئن كان نصيبنا من أخبار شاعري المنصفتين الأولى والثانية ضئيلاً جد ضئيل، فان نصيبنا من أخبار صاحب المنصفة الثالثة واف وافر . ذلك أن كتب المغازي والسير والأدب والتاريخ حافلة بأخبار الشاعر الثالث .

هو العباسُ بنُ مرداسِ بنِ أبي عامرِ بنِ حارثةَ بنِ عبد القيسِ بن رفاعة بنِ بُهثةَ بنِ سُلَيْمْ بنِ منصور بنِ عِكْرِمةَ بن خَصَفَةَ بن قيسِ بنِ عَيْلانَ بنِ مُضَرَ بنِ نزارٍ ، من بني سُلَيْمٍ . وأمه الخنساءُ الشاعرة بنت عمرِو بنِ الشريد . كان العباس فارساً شاعراً شديد العارضة أدرك الجاهلية والإسلام ، ووفد الى النبي صلى الله عليه وسلم ، في المدينة حين أراد المسير إلى مكة عام الفتح ، فواعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قُدَيْداً ، وقال : القني أنت وقومك بقُدَيْد . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قُدَيْداً ، وهو ذاهب لقيه عباس في الف من بني سليم .

وأعطاه رسول الله مع المؤلفة قلوبهم ، فأعطى الأقرع بنَ حابسٍ وعُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ والعباسَ بنَ مرداس عطايا فضل فيها عُيَيْنَةَ والأقرع على العباس ، فجاءه العباس فأنشده :

فأصبح نهبي ونهب العبيـد بينَ عيينة والأقرعِ
وما كان حِصْنٌ ولا حابس يفوقان مرداسَ في مجمع
وما كنت دون امرىء منهما ومن تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ

فبلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه وقال : اقطعوا عني لسانه . وأمر بأن يعطوه من الشاء والنعم ما يرضيه ليمسك فأعطي .

قال أبو عبيدة :

وكان العباسُ وسُراقةُ وحَزن وعمرو بنو مرداس كلهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وكلهم كان شاعراً ، وعباس أشعرهم وأشهرهم وأفرسهم وأسْوَدُهم [1] ومات في الإسلام .

والعباس هو القائل :

أشُدُّ على الكتيبةِ لا أبالي أحتْفي كان فيها أمْ سواها

وله :

ترى الرجلَ النحيفَ فتزدريهِ وفي أثوابه أسَدٌ مَزيرُ [2]
ويعجبُكَ الطَّريرُ فتبتليه فيُخْلِفُ ظنَّكَ الرَّجُلُ الطَّريرُ [3]
فما عِظَمُ الرجال لهم بفخرٍ ولكنْ فَخْرُهم كَرَمٌ وخِيرُ [4]

• • •

---

(١) أسودهم : من السيادة .
(٢) المزير : الحصيف الجلد . وقيل : له فضل .
(٣) الطرير : الضخم السمين . وتبتلي : تجرب وتختبر .
(٤) الخير : بكسر الخاء : الشرف والفضل .

مناسبة القصيدة

قال أبو عبيدة [1] :

غزت بنو سُلَيم ، ورئيسُم العبــاس بن مرداس ، مُراداً ، فجمع لهم عمرُو بن مَعْد يكَرِب (الزُّبَيْدي) ، فالتقوا بتَثْليث من أرض اليمن ، بعد تسع وعشرين ليلة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل من كبار مُراد ستة ، وقتل من بني سُلَيْم رجلان ، وصبر الفريقان ، حتى كره كل واحد منهما صاحبه ، فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السين ، وهي احدى المنصفات .

وروى أبو الفرج [2] أن عمرو بن معد يكرب أجابه عن هـذه القصيدة بقصيدة أولها :

لِمَنْ طَلَلٌ بالخَيْفِ أصبَح دارسا تَبَدَّلَ آرامــاً وعيناً كوانِسا

ومنها يعتذر بأن خيلهم لم تكن سماناً ، وأنه لولا ذلك لم ينالوا منهم [3] :

أعباسُ لو كانتْ شِياراً جيادُنا بتَثْليثَ ماناصيتَ بعدي الأحامِسا
لـدُسْناكُمُ بالخيل من كُلِّ جانبٍ كما داسَ طباخُ القدورِ الكرادِسا [4]

والمعركة كما يبدو من القصيدة بدأت حين سار بنو مراد يكنسون

---

(١) الاصمعيات : تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون من ص ٢٣٦–٢٤٠

(٢) المصدر نفسه .

(٣) خزانة الأدب : البغدادي ج ٣ : الشاهد ٦٢٧ .

(٤) ناصى الرجل : أخذ بناصيته . والكردوس : كل ملتقى عظمين . دسناكم: وطئناكم .

أمامهم الظباء فتفر بجفلة مذعورة يريدون بني صُحارٍ وآلَ زُبَيْدٍ ، وقد ساروا إليهم تسعاً وعشرين ليلة يقطعون الصحراء ولم يجدوا منهم في الحرب تهاوناً ، فكل حملة بحملة ، وكل جولة وراءها صريع ، وقد شهد صدق العباس في الحرب معبَدٌ ومُخارقٌ وبِشرٌ ، وكان معه ابنا صُرَيْمٍ وعُروةُ وزيْدٌ ، واستمر القتال وحمت الدروع فرسان زبيد وانتهت المعركة بعد قتل ستة من مراد ، وعادت سليم وقد تكسرت رماحها وفرسانها كأنهم الأسد فوق متون الخيل .

• • •

تخريج القصيدة

جمعنا أبيات القصيدة من أربعة مصادر أساسية ، هي حماسة أبي تمام [١] وفيها أربعة أبيات هي الأبيات (١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦) وحماسة البحتري [٢] وفيها بيت واحد لم يرد في حماسة أبي تمام هو البيت (١١) والأشباه والنظائر [٣] وفيها ١٨ بيتاً ثم اعتذر الخالديان عن ذكر تتمة القصيدة لأن الشاعر تجاهل في أبيات منها ، والمصدر الرابع هو الأصمعيات [٤] وقد وردت في الأصمعية رقم ٧٠ ، وفيها ٢٨ بيتاً ، وقد زادت في مجموعتنا بيتاً واحداً ، وجدنا فيه اختلافاً عن رواية الأصمعيات فجعلناه بيتين اثنين فيهما تقارب وهما البيتان (٨ و ٩) .

• • •

---

(١) حماسة أبي تمام : شرح المرزوقي . تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون .

(٢) حماسة البحتري : نشر كمال مصطفى ص ٦٣ .

(٣) الأشباه والنظائر - للخالديين: تحقيق محمد يوسف ص ١٥٣ — ١٥٤ .

(٤) الأصمعيات : تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون من ص ٢٣٦—٢٤٠

جو القصيدة

يفتتح الشاعر قصيدته بالغزل ويذكر أطلال حبيبته أسماء وقد أصبحت دارسة ، فماترى فيها إلا الروامس ، وقد عاش الشاعر عهداً طويلًا كان يرى دلالها أحسن دلال وأنسها أطيب أنس وحديثها أحلى حديث وينشق منها أريجاً كالمسك .

ولكن حديث اللهو والمتعة لايلبث أن يمله ، فيطلب إليك أن تترك حديث الحب الى حديث الحرب ، حين ساروا الى اعدائهم بجحفل جرار تفر أمامه الظباء مذعورة وقد شدوا بملاءاتهم رؤوسهم وقطعوا السباسب والقفار في تسع وعشرين ليلة كاملة فوجدوا أعداءهم يأكلون ويشربون لايشعرون بهم وقد لبسوا لهم لامة الحرب وعدتها ، ولكن هذا الحي رغم أنه صبح بغتة لم يجزع ولم يفشل فما كاد يرى أعداءه حتى كر عليهم ودافع عن حقيقته دفاع الكرام .

فإذا حملت سليم حملت مراد ، واذا جالت الخيل عن صريع من هؤلاء كرت ثم أجلت عن صريع من أولئك .

ويتحدث الشاعر بعد ذلك عن نفسه فلايبخسها حقها من الطعان والقتال ، فلقد كان أول ضارب ، وكان أول طاعن جهاراً ، ويشهد بذلك شجعان قومه ، ولم يقصر اخوانه في الحرب فلولاهم لكان من الهالكين ولكنهم حموه ، كما حمى قرة فرسان قومه .

ولقد حمتهم دروعهم من الموت ، ولو مات الجرحى منهم لأصبحت الضباع عرائس ، ولقد قتلوا منا ولكنا قتلنا منهم ستة فرسان ، ونحن بنو الحرب نشبها ونوقدها ونكون نحن واعداؤنا لها حطباً .

وانتهت المعركة فعدنا وقد تكسرت رماحنا ، ولم يبق منها إلا شظايا ، ونحن نمتطي خيولنا كأننا أسود .

• • •

الانصاف في القصيدة

لعل قصيدة العباس بن مرداس أقل المنصفات انصافاً . ولعل الأبيات الأربعة التي ذكرها أبو تمام في حماسته هي الأبيات المنصفة حقاً :

فلم أرَ مثلَ الحي حياً مُصَبَّحاً ... ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
أكَرّ وأحمى للحقيقةِ منهم ... واضرب مِنّا بالسيوف القوانسا
اذا ماحملنا حملةً نصبوا لنا ... صدورَ المذاكي والرماحَ الدواعسا
اذا الخيلُ جالتْ عن صريع نكُرُّها ... عليهمْ فما يَرْجِعْنَ الا عوابسا

ان قبيلة مراد هنا رغم أنها صبحت بغتة كانت مثال الحي الذي لم تفجأه الحرب والعباس لم ير أكر وأحمى منهم للحقيقة ، ولم ير فرساناً مثل فرسان سليم أضرب بالسيوف .

فكل حملة تشنها سليم تتقيها مراد بصدور الخيل ورؤوس الرماح وكل جولة تجولها الخيل فينجلي نقعها عن صريع من أولئك تقابلها جولة أخرى ينجلي نقعها عن صريع من هؤلاء (الأبيات١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦).

وكذلك فعل البحتري فأورد الابيات المنصفة وحدها .

والابيات الواردة في الاشباه والنظائر فيها شيء من الانصاف دون مافي أبيات الحماستين ، فقد وصف العباس شجاعته وشجاعة بعض اخوانه من الفرسان ، الابيات (١٧ و ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢) ووصف شجاعة قرة الذي حمى قبيلته وطعن أعداءه طعناً شزراً ، فياله

من فارس ، ولم يلبث العباس أن خفت حماسته للانصاف فذكر أن الدروع هي التي حمت أعداءه ولولا ذلك لكان قتلاهم اكثر عدداً (٢٣ و ٢٤) ثم ذكر عدد القتلى فكانوا واحداً من سليم قتلوا به ستة من زبيد (٢٥ و ١٧ و ٢٨) .

وعندما وصل العباس إلى هذه الأبيات أدرك الخالديان أن الشاعر قد تخلى عن الانصاف ، وأن سردهما للأبيات التي بعدها تخرج القصيدة عن موضوعها الاصلي ، فكفا عن ذكر ما بقي منها وأبديا هذه الملاحظة القيمة : « وتجاهل في أبيات فيها فلم نذكرها . »[1] فاذا تركنا الأشباه والنظائر رأينا الأصمعي يسجل ما عرف من القصيدة لأنه لم يتقيد في ذكرها بشرط الإنصاف ، وفيما بقي من الأبيات تجد العباس يفتخر بنفسه وبأهله ولا يجري ذكراً لأعدائه (٢٨ ، ٢٩) .

وهكذا نرى أن شهرة القصيدة على أنها منصفة يعتمد في الدرجة الأولى على أبيات أربعة أو خمسة من تسعة وعشرين بيتاً ، ولقد كان الجهل – بالمعنى العربي الأصيل – عدو الإنصاف .



(١) الأشباه والنظائر : الخالديان · نشر محمد يوسف ص ١٥٤ .

القَصِيدَة

قال العباسُ بنُ مِرداسٍ السُّلَميُّ (*):

لأسماءَ رَسْمٌ أَصبَحَ اليَوْمَ دارِسا
وأَقْفَرَ منها رَحْرَحانَ فراكِسا[1]

(*) وردت أبيات القصيدة مختلفة العدد في مصادرها : وقد ذكرنا أن أبا تمام أثبت منها أربعة أبيات هي : ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ . وزاد فيها البحتري البيت الحادي عشر ووردت في الأشباه والنظائر ثمانية عشر بيتاً ، ووردت القصيدة كاملة على ما نظن في الأصمعيات في ثمانية وعشرين بيتاً . وقد اعتمدنا نصها وترتيبها .

ورد البيت في (أ) و (ش) في ش : ربع .

١ – المفردات : الرسم : الطلل . رحرحان وراكس موضعان أقفر المكان – كما ورد في النسخة الشنقيطية للأصمعيات – : اذا وجده قفراً . والضمير لأسماء أي ضمير منها . وفي القاموس المحيط :

أقفرتُ البلدَ : وجدته قفراً . وفي خزانة الأدب : الشاهد ٦٢٧ :

وأقفر إلا رحرحان فراكسا .

ومعنى البيت : لقد عفا ربع أسماء وأقفرت منها ديارها في رحرحان وراكس .

فجَنْبَيْ عَسِيبٍ لا أَرى غَيرَ ماثِلٍ
خلاءً من الآثارِ إلا الرَّوامِسا[٢]
ليالِيَ سَلْمَى لا أَرى مِثْلَ دَلِّهـا
دَلالاً وأُنْساً يُهْبِطُ العُصْمَ آنِسا[٣]
وأَحْسَنَ عَهْداً لِلْمُلِمِّ بِبَيْتِهـــا
ولا مَجْلِساً فيه لِمَنْ كانَ جالِسا[٤]
تَضَوَّعَ مِنها المِسْكُ حَتّى كَأَنَّما
تَرَجَّلُ بالرَّيْحانِ رَطْباً ويابِسا[٥]

---

٢ - ٣ - ٤ : وردت في (أ)

الألفاظ : جنبا عسيب : موضع . الروامس : أراد الآثار المرموسة ، أي المطموسة . العصم : جمع أعصم وعصماء وهو الوعل .

معنى الأبيات :

وأقفرت من أسماء دارها في جنبي عسيب فلست ترى فيها إلا الآثار المطموسة ، أين مضت ليالي سلمى ؟ وكنت لا أرى دلالاً مثل دلالها ، ولا أنساً مثل أنسها يجعل الوعول المتوحشة في رؤوس الجبال مستأنسة اليفة ، وكنت لا أجد أحلى من بيتها ولا اطيب منه مجلساً .

وقد غير الشاعر اسم حبيبته فجعلها اسماء اولاً ثم جعلها سلمى ، والعرب يغيرون اسماء حبيباتهم في اشعارهم .

٥ - ورد في (أ) .

فَدَعْها ولكنْ هَلْ أَتاها مَقادُنا

لِأَعْدائِنا نُزْجِي الظِّباءَ الكَوانِسا[6]

— الألفاظ ترجل : الترجــل والترجيل تسريح الشعر وتنظيفه وتحسينه .

معنى البيت : تشم منها رائحة المسك دائماً كأنما تسرح شعرها بالريحان من رطب ومن يابس .

(٦) في (أ) الثقال ، وأثبتنا رواية (ش) الظباء .

الألفاظ : مقادنا : سوقنا ، نزجي : نسوق ، في هامش الشنقيطية يعني النساء في الحمول . وأصله من كنس الظبي جعله لدخول المرأة في هودجها .

لكن في الأغاني ج ١٣ الكوادس : وهي رواية جيـــدة يقال كدس الفرس اذا مشى كأنه مثقل . وكدست الخيل اذا اسرعت وركب بعضها بعضاً في سيرها ـ هذا ما ورد في الأصمعيات .

أما في الأشباه والنظائر فيأتي بمعنى آخر ، ويقـول : نسوق بين ايدينا الظباء ، والعرب تتشاءم بها .

ومعنى البيت : دع عنك الغزل بأسمـــاء ، وسلها هل سمعت بأخبارنا يوم سرنا إلى اعدائنا والظبـــاء تغادر كناسها وتفر مذعورة امامنـــا ؟

بِجَمْعٍ يُرِيدُ ابنيْ صُحارٍ كِلَيْهِما
وآلَ زُبَيْدٍ مُخْطِئاً ومُلامِسا [7]

نَشُدُّ بِتَعْطافِ المُلاءِ رُؤوسَنا
على قُلُصٍ نعلو بِهِنَّ الأمالِسا [8]

على قُلُصٍ نَعْلو بها كُلَّ سَبْسَبٍ
تَخالُ بِهِ الحِرباءَ أَشمطَ جالِسا [9]

---

(٧) ورد في (ا)

(٨) ورد في (ش)

(٩) ورد في « أ » ، وبين البيتين الثامن والتاسع تشابه .

المفردات : القلص : جمع قلوص وهي الناقة . الأمالس : جمع إمليس وإمليسة وهي الفلاة ليس بها نبات وتجمع على اماليس وامالس شاذ . والاشمط : الاشيب قد خالط سواد شعره بياض .

ومعنى الابيات الثلاثة :

سرنا نريد قتال ابني صحار وآل زبيد بجمع كثيف ، ونحن نشد على رؤوسنا ثنايا عمائمنا ، ونركب نوقاً تقطع بنا كل فلاة موحشة مقفرة ، لو رايت فيها الحرباء لظننته لكبره ولونه شيخاً اشمط .

سَمَوْنا لَهُمْ تِسْعاً وعِشْرين لَيْلَةً

نَجُوبُ مِنَ الأعْراضِ قَفْراً بَسابِسا[١٠]

فَبِتْنا قُعوداً في الْحَديدِ وأَصْبَحوا

عَلى الرُّكُباتِ يَحْرُدُونَ الأنافِسا[١١]

---

(١٠) ورد في (أ) و (ش)

في الأصول : الإعراض .

في (ش) سبعاً وعشرين ليلة . وفي النسخة الثانية من الأصمعيات سبعاً وعشرين .

معنى البيت : سرنا في طلبهم تسعاً وعشرين ليلة نقطع البراري والقفار .

(١١) ورد في (أ) و (ب) و (ش) :

في (ب) بتنالهم .... يحزؤون الأنافسا . وحزأ : جمع .

في (ش) فبتنا .... يتقون الدنافسا . والدنافس : السيء الخلق .

وفي النسخة الثانية من الأصمعيات : يجردون الأيابسا . وجرد العظم . خلص منه اللحم ، والأيابس كل ما كان مثل عرقوب وساق . وفي هـــامش الشنقيطية للأصمعيات. يقطعون النوق . يقال حرد اللحم: إذا قطعه ،والأنافس: جمع الأنْفَس أي الأحب الأكرم من الإبل وغيرها .

ومعنى البيت : بتنا نلبس دروع الحديد ، وأصبحوا جاثين على ركبهم وهم يقطعون لحوم الإبل .

فَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْحَيِّ حَيّاً مُصَبَّحاً

ولا مِثْلَنا لَمَّا التَقَيْنا فَوارِسا[١٢]

أَكَرَّ وأَحْمىٰ للحقيقــــة مِنْهــمُ

وَأَضْرَبَ مِنَّا بالسُّيوفِ القَوانِسا[١٣]

وَأَحْصَنَنــا مِنْهُمْ فَمــا يَبْلُغونَنــا

فَوارِسَ مِنَّا يَحْبِسُونَ المَحابِسا[١٤]

---

(١٢) — (١٣) : ورد البيتان في (أ) و (ب) و (ت) و (ش) .

في ب : وأضرب منا بالسيوف القلانسا .

المفردات : أكر : أكثر كراً . الحقيقة : مايحق على المرء أن يحميه . القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الرأس .

معنى البيتين :

أشار بالحي الى قوم معهودين يقول : لم أر مغاراً عليه كالذين صبحناهم ، ولامغيراً مثلنا يوم لقيناهم ، فقسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقة منهم .

والمصراع الأول- من البيت الثاني - ينصرف الى أعدائه ، وهم بنو أسد والمصراع الثاني الى عترته وأصحابه ، والمراد : لم أر أحسن كراً وأبلغ حماية للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا . وانتصب القوانس من فعل دل عليه قوله وأضرب منا . ولايجوز أن يكون انتصابه من أضرب .

معنى البيت : —

إذا ماحَمَلْنا حَمْلَةً نَصَبُوا لَنـــا

صُدورَ المَذاكي والرِّماحَ المَداعِسا[١٥]

إذا الخَيْلُ جالَتْ عَنْ صَريعٍ نَكُرُّها

عَلَيْهِمْ فَما يَرْجِعْنَ إلاَّ عَوابِسا[١٦]

— وما أكثر مانحصن أنفسنا منهم فلايرون منا فرصة ، وما أكثر مايحبسون انفسهم في المراقب فلانصل إليهم .

(١٥) — (١٦) — في (ش) و (أ) اذا ماشددنا شدة . في (ب) :

اذا الخيل جالت في المصاع يكرها عليه فـلا يقبلن إلا عوابســـا

وماصع : قاتل

في ش : إذا الخيل أجلت عن قتيل ...

المفردات : المذاكي : جمع مذك وهو ما جاوز القروح بسنة .

وقد قرح الفرس اذا دخل في السادسة والذكاء ضد الفتاء . وفي المثل : جري المذكيات غلاب . المدعس من الرماح : الغليظ الشديد الذي لاينثني . والدعس : الدفع في الأصل ثم يستعمل في الطعن وشدة الوطء .

معنى البيتين :

يقول : اذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح والرماح المعدة لذلك ، واذا الخيل دارت عن مصروع منا كررنا عليهم لنصرع منهم مثلما صرعوا منا . ويجوز أن يريد : إذا جالت الخيل عن صريع منهم لايقنعنا ذلك فيهم ، بل نكرها عليهم لمثله وإن كرهت الكر لشدة الناس فلم ترجع الا كوالح عوابس .

نُطاعِنُ عن أَحسابنا بِرِماحِنا

وَنَضرِبُهُمْ ضَرْبَ المُذِيدِ الخَوامِسا[17]

وكنتُ أَمامَ القَوْمِ أَوَّلَ ضارِبٍ

وَطاعَنْتُ إِذْ كانَ الطِّعانُ تَخَالُسا[18]

وَكانَ شُهودِي مَعْبَدٌ وَمُخارِقٌ

وَبِشْرٌ ، وما اسْتَشْهَدْتُ إِلاَّ الأَكايِسا[19]

---

(١٧) ورد في (أ) :

المفردات : المذيد : الذي يعينك على ماتذود وترعى ، الخوامس : الابل التي ترد خمساً ، وهي أن تشرب يوماً وترعى ثلاثة ثم ترد في اليوم الخامس.

معنى البيت : طاعنّا دفاعاً عن أحسابنا برماحنا ، وضربناهم بسيوفنا ، كما يضرب الراعي الإبل التي ترد خمساً .

(١٨) معنى البيت : كنت أول ضارب في مقدمة القوم ، وطاعنت جهاراً حين كان الناس يتطاعنون اختلاسا .

(١٩) في (أ) و (ش)

في (ش) : الأكالس : والأكاس من صفات الذئب ، وفي نسخة ثانية من (ش) وفي (أ) : الأكايس : جمع الأكيس ، والكَيْس العقل . وهي الرواية .

ومعنى البيت : لقد شهد طعاني وضرابي معبد ومخارق وبشر ، وهؤلاء شهود عدول .

مَعِي ٱبْنَا صُرَيْمٍ دارِعانِ كِلاهُما

وَعُرْوَةُ لَوْلاهُمْ لَقِيتُ الدَّهارِسا[٢٠]

وَمارَسَ زَيْدٌ ثُمَّ أَقْصَرَ مُهْرُهُ

وَحُقَّ له في مِثْلِها أَنْ يُمارِسا[٢١]

وَقُرَّةُ يَحْمِيهِمْ إِذا مـــا تَبَدَّدُوا

وَيطْعَنُنا شَزْراً فَأَبْرَحْتَ فارِسا[٢٢]

---

(٢٠) في (أ) .

المفردات : الدهارس : (في هامش الشنقيطية) : الدواهي .

معنى البيت : وكان معي ابنا صريم ، وكلاهما دارع وكان معي عروة، يحموني ولولاهم لكنت في الهالكين .

(٢١) في (أ) و (ش) .

في (ش) وفي نسخة من (أ) : ثم أُقْصِد ، ومعناها قتل وهلك . وفي نسخة أخرى من (أ) أقصر : كف ونزع .

معنى البيت :

كان زيد شجاعاً مارس الحرب فأحسن مراسها فلما قتل مهره أقصر ، وحق لأمثاله من الشجعان ممارسة المعارك .

(٢٢) في (أ) و (ش) .في (أ) : ويطعنهم ، وهي خطأ .

المفردات : أبرحت : جئت بأمر مفرط معجب .

معنى البيت :

وَلَوْ ماتَ منهمْ مَنْ جَرَحْنا لَأصْبَحَتْ
ضِباعٌ بأكنافِ الأراكِ عَرائِسا[23]
وَلٰكنَّهُمْ في الفارِسيِّ فَلا تَرى
مِنَ ٱلقَوْمِ إلاَّ في المُضاعَفِ لابِسا[24]
فَإنْ يَقْتُلُوا مِنَّا كَرِيمــاً فإنَّنا
أَبأْنا بِهِ قَتْلى تُذِلُّ المَعاطِسا[25]
قَتَلْنا بِهِ في مُلْتَقى الخَيْلِ خَمْسَةً
وَقاتِلَهُ زِدْنا مَعَ اللَّيْلِ سَادِسا[26]

— وكما كان منا زيد حامياً ومدافعاً ، كان منهم قرة يحميهم ويدافع عنهم ويطعننا طعناً دراكاً ، فياله من فارس معجب .

(٢٣) — (٢٤) في (أ) و (ش) .

في متن احدى نسخ (أ) ، يقال : إن الضبع اذا مات القتيل فانتفخ ذكره تقعد عليه . وانظر كتاب الحيوان للجاحظ الجزء ٦ ص ٤٥٠ — ٤٥١ .
الفارسي : يعني الدروع . المضاعف : المنسوج حلقتين حلقتين .

ومعنى البيت :

لو مات جرحاهم لكان قتلاهم كثيرين تفرح بهم الضباع ، ولكن الدروع حمتهم من القتل ، فلست ترى واحداً منهم الا لابساً درعاً مضاعفة .

(٢٥) — (٢٦) : وردا في (أ) و (ش)

وَكُنَّا إذا ما الحَرْبُ شُبَّتْ نَشُبُّها

وَنَضْرِبُ فيها الأَبْلَجَ المُتَقاعِسا(٢٧)

المفردات : أباءه به : قتله به . البواء : السواء والكفء . المعاطس : الأنوف .

ومعنى البيتين :

إن يقتلوا منا رجلاً كريماً فقد قتلنا به رجالاً كراماً

كانوا خمسة ثم زدناهم قاتله في الليل فأصبحوا ستة

ملاحظة : مانرى في ذلك إنصافاً ، ولعل العباس بن مرداس قد بدأ يتخلى عن الانصاف في قصيدته . كما سوف يلاحظ الخالديان في (ش) .

(٢٧) ورد في (أ) و (ش) وهو آخر الأبيات الواردة في (ش) ، وعددها ستة عشر بيتاً .

وقال الخالديان بعد هذا البيت :

وتجاهل في أبيات فيها لم نذكرها .

والحق أنه تجاهل ، وترك الانصاف في البيتين السابقين حين ذكر أنه قتل بواحد من أهله ستة من أعدائه . وجاء بعد هذا البيت بيتان آخران في (أ) .

وبذلك لانستطيع أن نعد هذه القصيدة منصفة كلها .

في نسخة (أ) الأبلخ ، وفي نسخة ثانية من (أ) ، وفي (ش) الأبلج .

المفردات : الأبلخ : المتكبر ، والأبلج : المشرق الوجه أو الذي وضح مابين حاجبيه . والمتقاعس : المتمنع الذي لايطاطىء رأسه .

ومعنى البيت :

إذا أوقدت نار الحرب زدناها وقوداً ، وكان من وقودها كل فتى أبلج الوجه ، أشم الأنف .

فَأُبْنا وأَبقى طَعْنُنا مِنْ رِماحِنا

مَطارِدَ خَطّيٍّ وحُمْراً مَدَاعِسا[28]

وجُرْداً كَأَنَّ الأُسْدَ فَوْقَ مُتُونِها

مِنَ القَوْمِ مَرْؤُوساً وآخَرَ رائِسا[29]



---

(٢٨) — (٢٩) وردا في (أ) .

المفردات : المطارد : مايبقى من الرماح اذا تكسرت ، والمعروف أن المطرد الرمح القصير ، ولا تناقض بين القولين اذ يسوى ماتكسر من الرماح ليجعل رمحاً قصيراً . والخطي : الرماح المنسوبة الى خط البحرين . والمداعس : سبق تفسيرها في البيت ١٥ .

ومعنى البيتين :

عدنا من الحرب وقد أبقت المعارك من رماحنا بقايا متكسرة فيها ماهو قصير وفيها ماهو غليظ ، كما أبقت خيولاً كأن فرسانها فوق ظهورها أسود ، سيان من كان منهم رئيساً ومرؤوساً .

المنصفة الرابعة

الفضل بن العباس اللهبي

- الشاعر
- تخريج القصيدة
- مناسبتها
- جوها
- مواضع الانصاف فيها

الشّاعِر (١)

هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .

كان أحد شعراء بني هاشم المذكورين وفصحائهم . وكان شديد الأدمة ، ولذلك قال :

وأنا الأخضر مــن يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب

وهو هاشمي الأبوين ، أمه بنت العباس بن عبد المطلب . وإنما أتاه السواد من قبل جدته ، وكانت حبشية .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم زوّج عتبة إحدى بناته ، فلما بعثه الله نبياً ، أقسمت عليه أم جميل أن يطلقها فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يامحمد أُشهِد من حضر أني قد كفرت بربك وطلقت ابنتــك .

وأما جده الثاني أبو لهب ، واسمه عبد العزى ، وجدته « حمالة الحطب » ففي « سورة اللهب » من القرآن الكريم مايغني عن ذكرهما ، وطالما أولع به الشعراء وبها .

قال ابن النطاح (٢) :

---

(١) وترجمته في الأغاني . الجزء السادس عشر من ص ١٧٣ - ١٩٣ . المؤتلف ص ٣٥ - المرزباني ٣٠٩ ، الحماسة ص ٢٢٤ .

(٢) الأغاني الجزء ١٦ ، ص ١٧٣ .

« وحدثت أن الحزين الدّيلي مر بالفضل يوم جمعة ، وعنده قومه ينشدهم شعراً فقال له الحزين : أتنشد الشعر والناس يروحون الى الصلاة فقال الفضل : ويلك ياحزين ! أتتعرض لي كأنك لاتعرفني ؟ قال الحزين : بلى والله ، إني لأعرفك ويعرفك معي كل من قرأ سورة (تبت يدا أبي لهب). »

وقد لقي الفضل بن العباس غير الحزين من الشعراء ، لقي الفرزدق فلم يتعرض له ، ولقي عمر بن أبي ربيعة وكانت بينهما قصة طويلة ومفاخرة .

واتصل الفضل بخلفاء بني أمية ، وأولهم عبد الملك بن مروان فمنعه مرة ووصله مرة فأمر له بعشرة آلاف درهم ، واتصل بالوليد بن عبد الملك فأمر له بمثلها وانقطع إليه فلما مات الوليد ولي سليمان بن عبد الملك فأتاه الفضل فسأله فلم يعطه شيئاً ، وجفاه سليمان وحرمه .

وكان الفضل بخيلاً وله طرائف مع حمار له ، فرض له الوليد خمسة دنانير يعلفه بها ، فأخذها ولم يكن يطعمه ، فعمد رجل فكتب رقعة يذكر فيها قصة الحمار وعلقها في عنقه ، وجاء بها إلى القاضي فأضحك منه الناس .

وكان يستعير لحماره سرجاً اذا أراد أن يركبه ، فتواصى الناس بألا يعيره أحد سرجا ، فلما طال عليه ذلك اشترى سرجاً بخمسة دراهم وذكر ذلك في شعره . وأخبار بخله في الأغاني كثيرة .

وانتقد المرزباني[1] الفضل بن الربيع لوقوع سناد في شعره .

---

(١) المرزباني : الموشح : المطبعة السلفية ١٣٤٣ ، ص ٢٢ .

تلك حياة الفضل وبعض أخباره ملخصة ثم نحن لاندري سنة ولادته ولا سنة وفاته .

• • •

مناسبة القصيدة

لم يذكر المؤرخون حادثة معينة دعت الفضل بن العباس إلى نظم قصيدته المنصفة هذه . ولكنا نظن أنها لاتعدو أن تكون مظهراً من مظاهر النزاع القاسي الطويل الذي شغل الحياة العربية والإسلامية بين بني هاشم وبني أمية .

ولعل الفضل نظم منصفته في أحد موقفين :

أولهما حين حرمه مرة عبد الملك بن مروان أعطياته ، قال صاحب الأغاني :

« خرج علي بن عبد الله بن العباس بالفضل اللهبي إلى عبد الملك ابن مروان بالشام ، فخرج عبد الملك يوماً رائحاً على نجيب له ومعه بغلة تُجْنَبُ فحدا حادي عبد الملك به فقال :

يا أيها البكرُ الذي أراكا	عليك سهلَ الأرضِ في ممشاكا
ويلكَ هل تعلمُ من علاكا	إن ابنَ مروانَ على ذُراكا
خليفةُ الله الذي امتطاكا	لم يَعلُ بَكراً مثلُ من علاكا

فعارضه الفضلُ اللَّهَبي ، فحدا بعلي بن عبد الله بن عباس ، فقال :

يا أيها السائلُ عن عليِّ	سألتَ عن بَدرٍ لنا بَدْريِّ
أغلبَ في العلياءِ غالبيٍّ	وليِّنِ الشيمةِ هاشميِّ

جاء على بَكرٍ له مَهْرِيِّ .

فنظر عبد الملك إلى علي فقال : أهذا مجنون آل أبي لهب . ؟ قال : نعم . فلما أعطى قريشاً مر به اسمُه فحرمه ». فلعل الفضل نظم منصفته بعد حرمانه .

والموقف الثاني كان مع سليمان بن عبد الملك . حج سليمان بن عبد الملك في خلافة الوليد فجاء إلى زمزم فجلس عندها . ودخل الفضل اللهبي يستْقي ، فجعل يرتجز ويقول :

يا أيها السائلُ عن عليِّ   سألتَ عن بَدرٍ لنا بَدريِّ
مقدمٍ في الخيرِ أبْطحيِّ   ولَيِّنِ الشيمةِ هاشميِّ
زمزَمنا بنورِ كُنتِ منرَكِيِّ   بوركتِ للساقي وللمَسْقِيِّ

فغضب سليمان ، وَهَمَّ بالفضل . فكفه عنه علي بن عبد الله . فلما ولي الخلافة وحج لقيه الفضل فلم يعطه شيئاً .

هذان موقفان مباشران ربما دعا أحدهما أو كلاهما الفضل بن العباس إلى نظم قصيدته ، ولكن الداعي الأساسي قائم في تلك الأسباب الأصيلة البعيدة في التاريخ ، وفي مقدمتها ماذكرناه من نزاع طويل بين الهاشميين والأمويين ، كان من أبشع صوره قتل الحسين بن علي ، وربما كان من أدق ماقيل في تصوير هذا النزاع هذان البيتان :

عبد شمس قد أوقدت لبني ها   شمَ ناراً يشيبُ منها الوليدُ
فابنُ حَرْبٍ للمصطفى وابنُ هِنْد   لِعَلِيٍّ ، وللحسينِ يزيدُ

ومع ذلك تبقى هذه القصيدة المنصفة من أبرز مظاهر هذا النزاع الذي أراد أحياناً أن يقف عند حد البغضاء في القلوب ، ولا يجاوزه الى يدٍ ولا الى سنان .

• • •

جو القصيدة

قال الفضل بن العباس هذه الأبيات يخاطب بها بني أمية ، وهو لايريد أن يصل بالعداوة الى ماوصلت إليه فعلًا من دماء ، بل يريد أن يقف عند حد اللوم والتذكير بالقربى ، وهي في الواقع تمثل نفسية هاشمي مغلوب على أمره رأى أن بني أمية قد استولوا على الحكم واستبدوا بالسلطان ، وأن ماقام به الهاشميون من ثورات لانتزاع السلطة قد أخفق وكلفهم ضحايا غالية فهو الآن يخاطب بني أمية في هدوء ، ويطلب إليهم أن يرفقوا ببني عمهم ، وألا ينبشوا الأحقـاد التي دفنوها ، وهي أحقاد لاتنسى :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

ويطلب الى ابناء عمه من بني أمية أن يكرموهم ، كما يكرمهم بنو هاشم وأن يكفوا الأذى عنهم ، وأن يسيروا سيراً قصداً فلاينقصوهم ولايبحثوا عن زلاتهم ؛ وهو يعترف في صراحة وجرأة أنهم لايحبون بني أمية ، ولايلومون بني أمية ألا يحبوا بني هاشم . ويجعل من بغض كل فريق لأخيه نعمة من الله تعالى عليهم ، لأن التباغض يباعد بينهم ويفرقهم ، وفي تفرقهم صلاح لهم وفي قرب بعضهم من بعض مضرة عليهم .

• • •

تخريج القصيدة

تقع القصيدة في خمسة أبيات ، وقد وردت في حماسة أبي تمام[1].

---

(١) الحماسية ٥٣ في مختصر التبريزي للخفاجي و٥٦ في التبريزي تحقيق عبد الحميد و ٥٥ في المرزوقي تحقيق أمين وهارون .

ولم أعثر على غير هذه الأبيات الخمسة من القصيدة . ولم ترد في الأغاني برغم الترجمة الطويلة التي عقدها ابو الفرج للشاعر .

وقد ورد في الخزانة بيت واحد منها ، وذكر صاحب الخزانة ان الطبرسي قد شرح ابيات العباس وعدها من باب المنصفات [1] . كما ورد البيت الثاني في حاشية الأصمعيات نقلاً عن الخزانة ايضاً [2] .

• • •

الانصاف في القصيدة

تمثل هذه القصيدة نموذجاً آخر من نماذج الإنصاف ، فقد مرت بنا ثلاث قصائد تناول فيها الإنصاف مايجري في المعارك ، ومايصطلي الشعراء من حر اللقاء ، أما في هذه القصيدة فيتناول الإنصاف ما وصفه من أحوالهم من إمحاض الإخاء ، كما يقول صاحب الخزانة [3] ، أو على الصحيح من التساوي في البغضاء .

والشاعر في هذه القصيدة لايكذب أبناء عمه ، ولايريد أن يكذبوه ، فهو لايحبهم ، وهم لايحبونه ، وكلاهما يعد البغض نعمة من الله عليه ، ولكنه ، رغم ذلك ؛ يرغب في بقاء الأحقاد دفينة ، بقيا على الأرحام ، وتجنباً لسفك الدماء فليس يستطيع المرء أن يستمر في كف أذاه عن أخيه ، وهو يعلم أن أخاه لايكف عنه أذاه ، وإذا كنت

---

(١) الخزانة : (٣ : ٥٢٠ — ٥٢١) .
(٢) حاشية الأصمعيات تحقيق شاكر وهارون ص ٢٣٠ .
(٣) الخزانة : (٣ : ٥٢٠ — ٥٢١) .

لاتستطيع أن تكون محباً فلا أقل من ألا تكون عدواً مجاهراً بالعداوة دافعاً بها الى أقصى حدودها .

ربما كان هذا الموقف أقرب الى التعبير عن نفسية العاجز عن رد الظلم بالظلم ولكنه يبقى مع ذلك موقفاً فيه انصاف له ولبني عمه ، انصاف لايدعو الى الحب والخير ، ولكنه لايرغب في الأذى والشر .



القَصِيدَة

قال الفضلُ بنُ العباسِ اللَّهَبِيُّ يخاطب بني أمية(*):

مهلاً بني عَمِّنا مَهْلاً موالينـــا
لا تَنْبُشوا بَيْننا ما كانَ مَدْفُونا[1]

لا تطمعُوا أن تُهينونا ونُكْرِمَكُم
وأن نَرُدَّ الأذى عنكم وتؤذونا[2]

مهلاً بني عَمِّنا عن نَحْتِ أَثْلَتِنا
سيرُوا رُوَيْداً كما كُنْتُم تَسيرونا[3]

(*) شرح الأبيات والألفاظ من التبريزي والمرزوقي .

(١) كرر مهلاً مرتين للتوكيد . والمعنى : يابني عمنا رفقاً بنا ، ولا تظهروا ما كان مكتوماً بيننا .

كأنه يريد التهكم بهم ، أو كأنه رآهم قد ابتدأوا في أمر سيؤدي الى تفاقم الشقاق بينهم ، فطلب المهل والأناة .

(٢) أن تهينونا : أي في أن تهينونا ، فعدى الفعل بنفسه ، يقول : لاتطمعوا أنكم إذا أهنتمونا قابلناكم بالإكرام وإذا آذيتمونا قابلناكم بالكف عن الأذى .

(٣) الأثلة : الشجرة العظيمة وتستعار للعرض . ويقولون : نحت —

اللهُ يَعلَمُ أنّا لا نُحِبُّكُمُ
ولا نَلومُكُم أن لا تُحِبونا[4]

كلٌّ لَهُ نِيَّةٌ في بُغضِ صاحِبِه
بنعمةِ اللهِ نَقْليكُمْ وتَقْلُونا[5]



ـ أثلته إذا ذمه وتنقصه يقول كفوا عن ذمنا وتنقصنا وسيروا معنا كما كنتم أول الأمر .

(٤) لم ينكر الشاعر أنه لا يحب بني عمه ، ولم ينكر عليهم بالتالي ألا يحبوه .

(٥) القلى : البغض . وإنما جعل بغض كل طائفة منهم للأخرى نعمة من الله تعالى عليهم ، لأنهم مع التباغض يتفرقون ، وفي تفرقهم صلاح لهم ، وفي قرب بعضهم من بعض مضرة عليهم .

المنصفة الخامسة

أبو عروبة المدني

- الشاعر
- تخريج القصيدة
- مناسبتها
- جوها
- مواضع الإنصاف فيها

الشاعر

هذه قصيدة نعرفها ورويت من طرق شتى ، ولانعرف صاحبها فهي في الأغاني يرويها النضر بن شميل للمأمون على أن قائلها أبو عروبة المدني [1] .

وجاء في هامش الأغاني أنهـــا وردت في (ف)، ومعجم الأدباء لياقوت في ترجمة النضر بن شميل ، وفي (ب) : ابن أبي عروبة وفي هامشها المزني [2] .

وفي طبقات النحويين للزبيدي ص ٥٧ ، عروبة المدني . ونسبت هذه الأبيات في الحماسة الى الهذيل بن مشجعة البولاني [3] .

وفي درّة الغواص للحريري ، وفي شرح الدرة للخفاجي أنه ابن عروبة المديني [4] .

وفي لسان العرب مادة « جلف » يرد بيت منها على أنه للعُجَيْر [5].
ونسبها ابن الجراح لعمرو بن النّبيت الطائي البحتري [6] .

---

(١) الأغاني الجزء ١٦ طبعة دار الكتب ص ٢١٣ — ٢١٤

(٢) هامش الأغاني الجزء ١٦ طبعة دار الكتب ص ٢١٤

(٣) الحماسة : شرح التبريزي ، شرح المرزوقي : الحماسية من باب الأضياف والمديح.

(٤) درة الغواص للحريري وشرحها للخفاجي ص ٩٣ و ١٥١ .

(٥) لسان العرب (جلف) .

(٦) سمط اللالىء : تحقيق الميمني ٨٦ ، ٨٤ .

ونسبها أبو عبادة البحتري في حماسته الى سماك بن خالد الطائي[1].

وهكذا نجد أنفسنا أمام قصيدة واحدة وخمسة شعراء أحدهم :

أبو عروبة المدني ، وهو مختلف في اسمه فجاء :

١ - ابن أبي عروبة المدني وابن عروبة المديني .

٢ - الهذيل بن مشجعة البولاني .

٣ - العُجَيْر السلولي .

٤ - عمرو بن النَّبيت الطائي .

٥ - سماكُ بن خالد الطائي .

في أحد أبيات القصيدة ترد هذه الكلمة : الخلائف ، وهي جمع خليفة ، ومعنى ذلك أن الشاعر كان في الاسلام ، ثم لانلبث أن نجد أن الكلمة هي الجلائف ، وهي جمع جليفة ؛ وهي السنة الشديدة التي تجلف المال أي تقشره كما يقشر الجلد ، وعندئذ - كما يلاحظ في شرح التبريزي - لايكون في البيت مايدل على أنه قيل في الإسلام [2] .

وهكذا نجد أننا أمام منصفة من النوع الممتاز لم ينصف التاريخ كله ولارجاله صاحبها ، فلا أقل من أن نسجل أسماءه الخمسة ، ثم ننتظر من يدلنا على حقيقة خبره .

وقد اخترنا من أسمائه في العنوان ماذكره الأغاني أبا عروبة المدني . ولم نعثر فيما اطلعنا عليه من المصادر على ترجمة لأبي عروبة ، ولا يكاد يرد اسمه إلا عابراً[3] .

• • •

(١) حماسة البحتري : مطبعة كمال مصطفى ص ٣٩٠ .

(٢) شرح التبريزي لحماسة أبي تمام الجزء الرابع ص ٢١٣ .

(٣) هنالك أبو عروبة بفتح العين واسمه مهران اليشكري وابنه سعيد بن أبي عروبة ، من رجال الحديث مختصر تذهيب الكمال ص ١٢٠ .

تخريج القصيدة

روى أبو تمام في حماسته ستة أبيات من القصيدة ، وذكر أنها للهذيل بن مشجعة البولاني[1] ومنها البيت الثالث في القصيدة وهو غير وارد في غيرها من المصادر .

ووردت في الأغاني سبعة أبيات بزيادة البيتين الرابع والسابع[2] حسب ترتيبنا وكذلك في درة الغواص للحريري وشرحها للخفاجي في سبعة أبيات ، وأغلب الظن أنه نقلها عن الأغاني[3] .

ووردت في حماسة البحتري بزيادة البيت الخامس حسب ترتيبنا فالقصيدة تقع اذن في تسعة أبيات اذا أضفنا الى الأبيات الستة في حماسة أبي تمام البيتين الزائدين في الأغاني والدرة والبيت الوارد في حماسة البحتري في اختلافات يسيرة في الرواية سنشير إليها في مواضعها ، ولم نجد فيما عرفناه من المصادر زيادة عليها .

وقد ورد البيت الخامس من هذه القصيدة في لسان العرب مادة « جلف » على هذا النحو :

وإذا تعوقبتِ الجلائفُ مالَه ... قُرِنَتْ صحيحتُنا إلى جَربائه

---

(١) الحماسة · شرح التبريزي ، شرح المرزوقي الحماسية رقم ٦٦ من باب الأضياف والمديح .

(٢) الأغاني : طبعة دار الكتب الجزء ١٦ ص ٢١٣ — ٢١٤ .

(٣) درة الغواص للحريري ص ٩٣ . وشرحها للخفاجي ص ١٥١ .

ونسب صاحب اللسان البيت لشاعر آخر هو العجير [1] .

وفي المؤتلف والمختلف أنه العجير السلولي مولى لبني هلال ، وفي هامش الكتاب عند ذكر اسم العجير هذه الكلمة : « استشهد بشعره في اللسان كثيراً [2] » .

والعجير شاعر من المحسنين ويكنى أبا الفرزدق [3] . وهو غير الفرزدق الشاعر المعروف . فهذا اسم شاعر سادس نضمه الى الشعراء السابقين .

• • •

مناسبة القصيدة

وإذا كنا لانعرف شيئاً عن الشاعر فإننا اكثر معرفة بالمناسبة التي قال فيها منصفته ، ذلك أن ابن عمه — كما تذكر القصيدة — كان غائباً في إحدى الروايتين ، فهو لايضيع غربته وفي الرواية الثانية أنه كان عاتباً عليه ، فذكر علاقته به ، وموقفه منه ، وأنه يزاحم أمامه ووراءه ويفيده نصره وهو في ذلك يضرب المثل الأعلى في واجبات القرابة ، وصلة الرحم وصفاء الإخاء .

ونقلت إلينا هذه القصيدة حادثة من أطرف الحوادث نرويها مختصرة عن الأغاني ، قال أبو الفرج [4] :

---

(١) لسان العرب مادة ، جلف .

(٢) المؤتلف والمختلف : تعليق في كرنكو ص ١٦٦ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٣٢ .

(٤) الأغاني : الجزء السادس عشر طبعة دار الكتب ص ٢١٣ — ٢١٤ .

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر ، قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني النضر بن شميل قال :

« دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو ، وعلي أطمار مترعبلة[1] فقال لي : يانضر ، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ فقلت : إن حر مرو لايدفع إلا بمثل هذه الأخلاق ، فقال : لا ، ولكنك رجل متقشف .

[ويصلح النضر للمأمون كلمة سداد ، ويقول : إنها سِداد بالكسر بمعنى البلغة وكل ماسددت به شيئاً فهو سِداد ثم يستنشده المأمون أخلب بيت للعرب فينشده ، ونعود الى خبر الأغاني] .

فقال المأمون : لله درك كأنما شُق لي عن قلبي ! فأنشدني أنصف بيت للعرب . قال : قلت : قول أبي عروبة المدني »

وذكر أبو الفرج الأبيات ، ثم ذكر أن المأمون أمر للنضر بخمسين ألفاً وزاده وزيره ثلاثين ألفاً فكان ما أخذه على كلمة واحدة ثمانين ألف درهم . ووردت هذه الحادثة في درة الغواص وشرحها وذكر فيها أرقاماً أكثر سخاء[2] !

• • •

---

(١) ممزقة .

(٢) درة الغواص للحريري وشرحها للخفاجي ص ٩٣ و ١٥١ .

جو القصيدة

القصيدة كلها تذكر مواقف ابن عم كريم من ابن عم غائب أو عاتب . والشاعر يضع فيها منهاجاً للعلاقة بين الأهل والأقارب .

فهو إن غاب ابن عمه – أو إن عتب في بعض الروايات ، ونحن نفضل الرواية الأولى حتى تكون القصيدة عامة لاخاصة – كان ممن يحميه من أمامه ومن ورائه ، ولايدع سهام الأعداء تصل إليه ، وهو ، وإن كان يعرف أن ابن عمه لايكاد يستقر في مكان ، فليس يمنعه ذلك نصره والدفاع عنه ، وهو إذا أودعه سراً صانه وحفظه حتى يطلب إليه أداءه . وهو إذا جنى جناية أو غرم غرماً ثقيلاً حمل عنه أثقاله وأهان من أجله كرائم ماله . وهو إذا قل مال ابن عمه وأصاب الجرب سوامه أعطاه من ماله وقرن صحيحته بجربائه ، وإذا صعبت عليه الأمور كان له مطية يسهل عليه صعبها ، وإذا كان مسافراً وجاء بهدية طريفة لم يطلع من وراء الخباء ليعلم ما الهدية ، وإذا لبس ثوباً جميلاً لم يحسده عليه ، ولم يتمنَّ أن يكون له هذا الثوب الجميل .

• • •

مواضع الإنصاف في القصيدة

كل مافي القصيدة إنصاف لابن العم من ابن عمه ، ويمكن أن نعتبرها تمثل نموذجاً راقياً ودستوراً للعلاقة بين الإخوان وأبناء العمومة حين لاتكون بينهم عداوة ، كما في المنصفة الرابعة وحين يبلغون أسمى معاني الوفاء والإخاء .

وهذه القصيدة من النوع الثاني من المنصفات ، النوع الذي يتناول إمحاض الإخاء بين الناس ، فالشاعر يحمي ابن عمه ويدافع عنه ويصون سره ، ويعطيه ماله إذا أجحف الدهر بماله ويسهل عليه العسير ، ويرد عنه المغارم .

وهو في الوقت نفسه لا يطلب على هذا الصنيع أجراً ، فلا يحب أن يعرف مايأتي به ابن عمه من طرائف اذا كان مسافراً ، بل هو لا يحب أن يكون له ثوبه الحسن إذا ارتدى ثوباً جميلاً ، وتظهر سذاجة الشاعر ومتطلبات حياته اليسيرة في جعله الحسد في اللباس ، وتلك الصورة من الحياة السهلة التي يكون فيها الثوب الحسن موضع حسد والتي لم تصل الى مرحلة التعقيد والغنى ، صورة تدعونا ولو قليلاً الى أن نجعل الشاعر جاهلياً لا إسلامياً .

الحق أن الشاعر لايذكر موقف ابن عمه منه ، وهل هو ينصفه كما هو له منصف ، ولكن القصيدة تبقى كما قلنا دستوراً للاخاء ونموذجاً للوفاء دون ترقب لجزاء .



الْقَصِيدَة

قال أبو عَروبَةَ المَدَنيُّ :

إِني وإِن كان ابنُ عمي غائبـــاً
لمزاحـــمٌ من دونه وورائِه[1]
ومفيدُه نصري ، وإِن كان امرأً
متزحزحـاً في أرضه وسمـائه[2]
ومتى أَجِئْهُ في الشدائدِ مُرْمِـلاً
أُلقِ الذي في مِزْودي لِوِعائهِ[3]

---

(١) في الحماسة : لأبي تمام : لمقاذف . في الأغاني والدرة : عاتباً ، في درة الغواص : لمراجم من دونه ، وفي حماسة البحتري : لمقاذف من دونه .

والمعنى : إن غـــاب ابن عمي لم يغيرني غيابه وظللت له كما كنت ، أدافع عنه من أمامه ومن ورائه ، ولا أتخلى عنه .

(٢) في الأغاني : عن أرضه وسمائه . في حماسة البحتري : ومُعِـــدُّه نصري . المتزحزح : المتباعد وقوله : في أرضه وسمائه ، يريد في غوره ونجده .

والمعنى : وأقوم بنصره ، وإن تباعد عني في كل مكان . ولا نرى أن يكون معنى قوله « متزحزحاً في أرضه وسمائه » أنه لا يثبت على عهد ولا تدوم له مودة كما رأى بعض المفسرين .

(٣) ورد البيت في الحماسة وحدها .

وأكونُ واليَ سِرِّهِ وأُصونُهُ
حتى يحينَ عَلَيَّ وَقْتُ أَدائِهِ[٤]

وإذا جَنَى غُرماً سَعَيْتُ بنصره
حتى أُهِينَ كرائِمي لِفدائِهِ[٥]

وإذا الحوادثُ أَجْحَفَتْ بِسَوامِهِ
قُرِنَتْ صَحيحَتُنا إلى جَرْبائِهِ[٦]

ــ ومرملًا حال من الهاء المفعول به في أجنّه ، فابن عمه هنا هو المرمل . والمرمل : الذي افتقر وفقد زاده . والمزود :وعاء الزاد . والمعنى : إذا وجدته فقيراً غير ذي زاد في أيام الشدائد أعطيته مالديّ من زاد ، وألقيته في مزوده سراً لايشعر بي .

(٤) ورد البيت في درة الغواص وشرحها ، وفي الأغاني ، ولم يرد في الحماسة . وفي الدرة : حتى يَحِنَّ إليّ وقتَ أدائه .

والمعنى : إنني أصون سر ابن عمي وأحفظه حتى يطلب مني أداءهُ في حينه فأؤديه .

(٥) ورد البيت في حماسة البحتري فقط ص ٣٩٠ . ومعنى البيت واضح .

(٦) في الحماسة لأبي تمام : وإذا تتبعت الجلائف مالنا ، ورويت : الخلائف . والجلائف: جمع جليفة ، وهي السنة الشديدة تجلف المال أي تقشره كما يقشر الجلد. ولايكون في البيت إذا كانت الجلائف ــ لا الخلائف وهي جمع خليفة ــ مايدل ــ

وإذا دَعا باسمي لِيَرْكَبَ مَرْكباً
صَعْباً قَعَدْتُ لَهُ على سِيسائِه[٧]

وإذا أتى من وُجْهَةٍ بِطَرِيفَةٍ
لَمْ أَطَّلِعْ مِمَّا وَراءِ خِبائِه[٨]

ـعلى أنه قيل في الإسلام .

ووردت الرواية المذكورة هنا في الدرة وفي الأغاني .

ورواية لسان العرب : وإذا تعرّقت الجلائف مالنا وفي البحتري : وإذا تعرقت الشديدة ماله .

وتعرقت : أهلكت .وأجحفت بسوامه: ذهبت به وسلبته . والصحيحة والجرباء من الأمثال ومعنى البيت : إذا أصابت السنون الشداد سوامنا خلطنا فقره بغنانا وغثه بسميننا .

(٧)ورد البيت في الأغاني وفيالدرة وفي حماسةالبحتري : **واذا** تيمم أن يباشرموضعاً. السيساء : منالحمار والبغلالظهر ومن الفرس الحارك ،وهو موضع الركوب . والسيساء مذكر لاغير .

والمعنى : اذا أراد أمراً صعباً وطأت له ظهره وأمكنته من بلوغه .

(٨) في الأغاني والدرة : من وجهه . وفي الدرة : فيما وراء .

والوجهة : هي السفر ، والطريفة :مايتطرفه الإنسان من كل شيء .ولم أطلع :يريد لم أتطلع الى ماستره عنه، والخباء :منأبنيةالبدو مايكوندون البيت من صوف أو وبر أو شعر .

يشير بذلك الى تنزيه نفسه عن الطمع فيما ليس له ، فإذا كان ابن عمه في سفر وعاد يحمل الطرائف لم يتطلع من وراء الستر يحاول معرفة ماجاء به .

وإذا ارتدىٰ ثَوْباً جَميلاً لم أَقُلْ

يا لَيْتَ أَنَّ عَليَّ حُسْنَ رِدائِهِ [٩]



(٩) في الحماسة : واذا اكتسى .

وهو في هذا البيت يدل على قلة المنافسة وترك الحسد ، فاذا اكتسى ابن عمه ثوباً جميلًا فرح به كأنما هو يلبسه ولم يتمن أن يكون هذا الثوب الجميل له دون ابن عمه .

المنصفة السادسة

العديل بن الفرخ العجلي

- الشاعر
- تخريج القصيدة
- مناسبتها
- جوها
- مواضع الانصاف فيها

الشاعر[1]

هو العُدَيلُ بن الفَرخِ بن معن بن الأسود بن عمرو بن عوف ابن ربيعة بن جابر .... بن الحارث العجليّ ، من رَهْطِ أبي النَّجْم العجلي . والعُدَيْلُ بهيئة التصغير ، والفرخ ضبط بالشكــــل في الكتب الموثوق بتصحيحهـا بفتح الفاء . وضبطه صاحب الخزانة بالقول : (الفُرْخ بضم الفاء وسكون الراء وآخره خاء معجمة .) فضم الفاء شاذ ، لم أجد مـا يؤيده وأخشى أن يكون سهواً أو خطأ[2].

وضُبِطَ في الجزء السادس من الأغاني : الفُرخ بالضم ، في تحقيق دار الكتب[3] . وفي الجزء العشرين من طبعة بولاق : الفَرَج بالجيم وهو وهو تصحيف[4] .

وقد اخترنا فتح الفاء دفعاً للشذوذ .

ولقب الشاعر العَبَّاب ، وهو اسم كلب كان له كما ذكر ابن قتيبة ، أو كلب جده الحارث كما جاء في الأغاني . والعَبَّابُ بفتح العين وتشديد الباء الموحدة .

---

(١) الخزانة ٢ : ٣٦٧ – ٣٦٨ . الأغاني ٦ : ٦٤ / ٢٠ : ١١ - ١٩ الاشتقاق : ٢٠٨ . الشعر والشعراء : ٣٧٥ – ٣٧٧ . حماسة أبي تمام : ٤٢٦ – ٤٣٤ ...

(٢) الشعر والشعراء تحقيق أحمد محمد شاكر طبعة أولى الجزء الأول ٣٧٥–٣٧٧.

(٣) الأغاني : ٦ : ٦٤ طبعة دار الكتب .

(٤) الأغاني : ٢٠ – ١١ – ١٩ طبعة دار بولاق .

وقبل أن نمضي في سيرة الشاعر لابد أن نقف قليلاً عند رواية أخرى تعزو منصفته هذه الى شاعر آخر من قبيلته هو أبو الأخْيَل العِجلي، قال أبو رياش [1] :

« ليست هذه الأبيات – أي الدالية – للعُدَيْل ، وانما هي لأبي الأخيَل العِجلي ، من قصيدة طويلة ، وهو شاعر اسلامي أيضاً في عهد بني أمية [2] » .

ثم يروي أبو رياش مناسبة انشاد القصيدة .

ونحن اذا راجعنا ترجمة العديل الطويلة في الأغاني ، لانجد ذكراً لبيت واحد من القصيدة الدالية ، وربما كان من ينفي أقرب الى الصواب ممن يثبت . ولكننا مع ذلك نثبت القصيدة للعديل بن الفرخ لورودها في مصدر أو مصدرين معروفين .

وأخبار العديل في الأغاني والخزانة والشعر والشعراء وشرح حماسة أبي تمام مستفيضة ، ولا سيما في المرجع الأول .

وقد ذكر صاحب الأغاني أن العديـل شـاعر مقل من شعراء الدولة الأموية وكان له ثمانية أخوة ، وأمهم جميعاً امرأة من بني شيبان .

ولعل حياته كانت سلسلة من المتاعب والمشكلات والهرب والتشرد، بل لعلنا أن نجد بعده عن الانصاف في كثير من مواقفه وأعماله ، رغم أنه حريص على الانصاف في شعره وأقواله .

---

(١) هو أبو رياش اللغوي ، أحمد بن ابراهيم الشيباني إنباه الرواة الى إنباه النحاة للقفطي ج١ ص ٢٥ .

(٢) ديوان الحماسة لأبي تمام ،مختصر شرح التبريزي ، للخفاجي طبعة ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م . ج : ١ ص : ٤٢٧ .

فقد كان للعديل واخوته ابن عم يسمى عَمْراً، فتزوج بنت عم لهم بغير أمرهم، فغضبوا ورصدوه ليضربوه. وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغاً، وكانت معركة لم تكتف بالضرب حتى وصلت الى قتل بعض اخوة العديل، والى شج العديل في رأسه، فلما شفي العديل لحق مولى ابن عمه دابغاً في وادي حُنَيْن فقتله غيلة وغدراً وافتخر بذلك في شعره.

واستعدى عمرو مولى دابغ على العديل الحجاج بن يوسف الثقفي فأسرف العديل مرة أخرى على نفسه وعلى الناس وهرب من الحجاج الى بلاد الروم، وهجا الحجاج فقال:

ودونَ يدِ الحجاج من أن تنالَني بِسَاطٌ لأيدي اليَعْمَلات عَريضُ[1]
مهامهُ أشباهٌ كأنَّ سرابَها مُلاءٌ بأيدي الغَاسلاتِ رَحيضُ[2]

وكتب الحجاجُ الى قيصر: «والله لتبعثن به أو لأغزينك خيلاً يكون أولُها عندك وآخرُها عندي.»

فبعث به الى الحجاج فلما دخل عليه قال له: أأنت القائل:

ودون ...

فكيف رأيت أمكن الله منك؟

فقال العديل: أنا القائل:

فلو كنتُ في سَلمى أجا[3] وشعابها لَكانَ لِحَجَّاجٍ عَليَّ دليلُ

---

(١) الشعر والشعراء ص ٣٧٥ — ٣٧٧: البساط بفتح الباء وكسرها: الأرض العريضة الواسعة. اليعملات من الابل: جمع يَعْمَلَة: النجيبة المطبوعة على العمل.

(٢) الملاء: بضم الميم جمع ملاءة. الرحيض: المرحوض أي المغسول.

(٣) أجأ وسلمى: جبلا طيء. وأجأ يهمز ولا يهمز.

خليلُ أميرِ المؤمنينَ وسَيْفُـهُ   لِكُلِّ إمامٍ مصطفى وخليلُ
بنى قبةَ الإسلامِ حتىّ كأنَّما   هدى الناسَ من بعدِ الضّلالِ رسولُ

ونلاحظ أنه أسرفَ مرة ثالثة حين جعل من الحجاج بانياً لقبة الاسلام ، وهو الذي هدم الكعبة ، وجعله رسولاً يهدي الناس الى الحق بعد الضلال ، وهو الطاغية الذي أراق دماء الناس فجرت كالسيل .

ولكن العديل قال ماقال خوفاً وجزعاً ، فخلى الحجاجُ سبيله وتحمل دية دابغ من ماله .

وهرب العديلُ مرة أخرى الى نجد .

وكان العديل يشرب مع وكيعٍ أحد بني الطاغية ، فضرب يده فقطعها وافترقا ثم هرب العديل .

وقد لقي العديل كثيراً من شعراء عصره وكانت بينه وبينهم صلات وأولهم الفرزدق ، وكانا يتنادمان ويصطحبان ، وسئل الفرزدق مُنْصَرَفه عن بكر بن وائل :

— يا أبا فراس ! من شاعر بكر بن وائل ممن خلفته خلفك ؟

قال : — أميم بني عِجل — يعني العديل بن الفرخ — على أنه ضائعُ الشعر سروقٌ للبيوت .

والسرقة — إذا صدقنا الفرزدق — إسراف آخر في طباع العديل صاحب هذه المنصفة .

بل إن العديل يترجح بين الإسراف والإنصاف في علاقته بأبي فراس نفسه فقد نال الفرزدق جائزة لم ينلها العديل فقال معاتباً[1] :

---

(١) حماسة ابن الشجري : طبعة حيدر آباد الدكن ص ٦٦ .

أفي الحقِّ أن يُعطى الفرزدقُ حكمَه ... ويخرجَ كَفِّي من نوالِكمُ صِفرا
سأهدي إلى قيسِ بن سعدٍ قصيدةً ... متى ماتلاقِ العظم تترُكْ به كَسْرا
أهُمُّ فتثنيني أواصرُ بيننـــا ... وأيْدٍ حسانٌ لم أؤدِّ لها شُكرا

ولكن ذلك لم يمنعِ الفرزدق من رثاءِ العديل حين مات فقال[1]:

وماولَدَتْ مثلَ العُدَيل حَليلةٌ ... قديماً ولا مُستَحْدثاتُ الحلائلَ
ومازالَ مُذْ شَدَّتْ يداهُ إزارَه ... به تفتَحُ الأبوابَ بكرُ بنُ وائلَ

وكانت للعديل علاقةٌ أخرى بالرجاز الكبير أبي النجم العجلي ، وقد ذكر أبو الفرج إحدى المداعبات بينهما قال :

« قال أبو النجم العجلي للعديل بن الفرخ : — أرأيت قولك :

فإن تك من شيبان أمي فإنني ... لأبيضَ عجليٍّ عريض المفـــارق

أكنت شاكاً في نسبك حين قلتَ هذا ؟

فقال له العديل : — أفشككتَ في نفسِك أو شعرِك حين قلتَ :

أنا أبو النجم وشِعري شِعري ... لله دَرِّي مايجنُّ صـــدري

فأمسك أبو النجم واستحيا[2]» .

والعديل هو القائل[3] :

ما أوقدَ الناسُ من نارٍ لمَكرُمةٍ ... إلا اصطلَينا وكنا موقدي النارِ
وما يَعُدُّونَ من يومٍ سمعتُ به ... للنـــاسِ أفضلَ من يومٍ بذي قار
جئنا بأسلابِهم ، والخيلُ عابسةٌ ... يومَ استَلَبنا لكسرى كُلَّ إسوار

---

(١) و (٢) الأغاني الجزء ٢٠ : ١١ — ١٩ .
(٣) الشعر والشعراء : تحقيق شاكر ص ٣٧٧ .

لانستطيع أن نحدد تماماً تاريخ وفاة العديل ، فإذا كان الفرزدق قد رثاه كما ذكرنا ، وقد مات الفرزدق سنة ١١٠ هـ في أصح الروايات فموت العديل إذن كان قبل هذا التاريخ بقليل .

• • •

تخريج القصيدة

تقع القصيدة في حماسة أبي تمام في ثلاثة وعشرين بيتاً ، وقد اعتمدنا هذا النص وحده في كتابنا هذا ، وأشرنا الى فروق في الرواية قليلة عند شرح الأبيات .

ورجاؤنا أن نقع على القصيدة الطويلة التي ذكر أبو رياش أن هذه لأبيات جزء منها .

• • •

مناسبة القصيدة

قال أبو رياش يذكر مناسبة القصيدة : « وسببها أن أبا الأخيل وقد على عمر بن هبيرة الغزاري في آخر أيام بني أمية فقيل له : إن أبا الأخيل بالباب يستأذن فقال : اذن والله لايأذن له غيري . فقام من مجلسه حتى أتاه بالباب فأخذ بيده وأقعده معه على بساطه ثم قال : أنشدني مذ فتك فأنشده إياها ، فكساه وأعطاه ثلاثين ألفاً . وهذه القصيدة احدى المنصفات[1]

---

(١) حماسة أبي تمام : مختصر التبريزي ج ٢ : ٤٢٧ .

وهكذا في غمرة المعارك الدامية التي دارت بين القبائل العربية في العصر الأموي فزعزعت أركان الدولة ومزقت العرب ومهدت لاستيلاء العباسيين على الحكم يؤيدهم أهل فارس ، نجد هذه الصرخة المدوية يطلقها شاعر عربي يدعو فيها الى السلام بين الإخوان والى الكف عن الحروب ، بل إن الشاعر يريد أن يموت مستريحاً وأن لايسمع في قبره بأنباء الحرب المدمرة التي تفرق بين الأخوة وتسفك دماءهم بأيديهم .

ولكن الشاعر يموت والمعارك تستمر ، والنزاعات القبلية التي أثارها بنو أمية ليستمروا في حكم الدولة تنقلب عليهم فتدمرهم تدميراً .

• • •

جو القصيدة

يبتدىء الشاعر بالغزل ، ولعله يريد بهذا أن يفتتح حديثه الى قومه بالحب ومرح الحياة وجمال المرأة فحبيبته ذات دمالج وعقد ، وثناياها بيض وشعرها أسود ، وريقها كالشهد ، وقد كان يتمتع بها وتتمتع به لولا أن غربان السوء نعقت وفرقت بين الأحباب ، وإذا هو في صورة أخرى مباينة للصورة الأولى مباينة كاملة ، صورة الدماء والرماح والسيوف والدروع ، فلا يكاد يمضي في تصوير أهوال الحرب بين قبيلته حتى تأخذه عاطفة القرابة ، فإذا يده تدمي يده وساعده تقطع ساعده ، وإذا كل القبيلة التي تقتتل أهل وإخوان .

إن الشاعر يسقي الموت بيديه إخوانه الذين أبوهم أبوه في المزاح وفي الجد . وهم ينادون يالنزار ، وهو ينادي يالنزار ، وهم يتبادلون

الضراب والطعان بالسيوف والرماح ، فإذا رأى الدم يسيل من ذراعه ومن عضده أخذه الحزن واستبد به الأسى . فكيف يخرج على قيس بقيس ؟ وكيف يحارب سعداً بسعد ؟ وكيف يضيع عمراً بعمرو ؟ إنه عندئذ كمن يهرق ماءه في الصحراء ، وليس له سواه ، حين يرى سراباً بعيداً فوق رابية صلداء ، بل إنه مثل النعامة تنسى أولادها وترعى أولاد غيرها .

ثم إنه يوصي أهله ، وقد ظن أنه يموت ، أن يبقى في اللحد مستريحاً لايسمع أنباء القتال بينهم ، ولايرى رمي النبال بعده . وتأخذه العاطفة الدينية بعد العاطفة القبلية فهو يخوفهم من النار ، ويحبب إليهم جنة الخلد .

وأخيراً يثير حماسة الفريقين وأنهم أكثر عدداً من التراب ، وأنهم جبلان يحميان الأرض فلو تزعزعا دكت الأرض دكا ، وهم متساوون في النسب ، متساوون في الشجاعة ، بل إن رماحهم متساوية في الطول، وهم مثلهم كما تقد من الجلد السيور .

• • •

مواضع الإنصاف في القصيدة

القصيدة إنصاف كلها ، بل إن المعركة التي يصفها الشاعر ، والنتائج التي أسفرت عنها ، لاتجري بين عدو وعدو ، إنما هي تجري بين أخ وأخ ، فالأب واحد والقبيلة واحدة ، والسلاح واحد ، واليد التي ترمي هي اليد التي تُرْمى ، والذراع التي تقطعُ هي الذراع التي تُقْطع ،

والشاعر وصاحبه كلاهما يهرق ماءه للمع سراب ، وكلاهما يضيع أولاده ليحفظ ولد غيره .

هذا الإنصاف يكاد يكون تسوية كاملة بين الفريقين المتنازعين . بل إن الشاعر يخوف الفريقين جميعاً من النار ، ويُوَجِّهم جميعاً الجنة ، ويوصيهم بعد موته ألا تسمع هامَتُه صبحاً قتالهم .

ولئن عرفنا الشاعر وثاباً على أبناء عمه واخوانه ، كما مر بنا في ترجمته ، فلعل هذا الانصاف الشديد الدقيق كان من آثار ذلك العرام الشديد ، وقد تلتقي الأضداد ، وتنقلب النفوس ، ولا سيما حين تلقى من دهرها مايدفعها الى العودة الى ماضيها والتدبر في أمورها واستقبال الحوادث في الحياة استقبالاً جديداً من وجهة نظر جديد .

ولقد حفظت لنا كتب الأدب مالقيت هذه المنصفة من اجلال وتعظيم ، حتى إن والي العراقين وخراسان عمر بن هبيرة الفزاري هرع الى قائلها وأجلسه على بساطه معه . ثم قال : أنشدني منصفتك ، فأنشده إياها ، فكساه وأعطاه ثلاثين ألفاً[1] .

وقد امتدت ولاية عمر بن هبيرة على العراق وخراسان حتى عام ١٠٥ .

ولسنا نستطيع ذكر هذه القصيدة دون أن نعرج على قصائد أخرى كثيرة استلهمت معاني هذه المنصفة . وسارت على نهجها ، وهي تمثل القصائد التي نظمها أبو عبادة البحتري في الحروب بين العرب في زمن بني

---

(١) تقدم الخبر في ص ١١٠ .

العباس ، والتي تمثّل ذروتها قصيدته التي منها هذان البيتان (١) :

شواجِرُ أرماحٍ تُقَطِّعُ بينَهم شواجرَ أرْحامٍ ملُومٍ قطوعُها
إذا احترَبت يوماً ففاضتْ دماؤُها تذكرتِ القربى ففاضَتْ دموعُها

(١) انظر حديث الشعر والنثر لطه حسين .

القَصِيدَةُ

قال العُدَيْلُ بنُ الفَرْخِ العِجْليُّ:

ألا يا ٱسْلَمي ذاتَ الدَّماليجِ والعِقْدِ
وذاتَ الثَّنايا الغُرِّ والفاحمِ الجَعْدِ[1]

وذاتَ اللِّثات الُحمِّ والعارضِ الذي
به أبرقَتْ عَمْداً بأبيضَ كالشُّهدِ[2]

كأَنَّ ثناياها اغْتَبَقْنَ مُدامَةً
ثَوَتْ حِجَجاً في رأسِ ذي قُنَّةٍ فَرْدِ[3]

---

(١) الدماليج: جمع دملوج سوار اليد، العقد: القلادة. الثنايا: من الأسنان. الفاحم: الشعر الأسود. الجعد: ضد المسترسل.

والمعنى: دومي لنا سالمة أيتها المرأة ذات السوار والقلادة، وصاحبة الثنايا البيض والشعر الأسود الجعد.

(٢) اللثات: جمع لثة وهي مغارس الأسنان. الحم: جمع أحم وهو الأسود. العارض: هنا الناب والضرس.

المعنى: وياصاحبة اللثاث السود والأسنان التي تبرق بالرضاب الأبيض الشهي كالعسل.

(٣) الغبوق: شرب العشي. وخصه لأنه يريد أن فمها تطيب رائحته—

جرى بفراقِ العـــامِريـَّةِ غُـدْوَةً

شَواحِجُ سُودٌ ما تعيدُ وما تُبْدي[٤]

لَعَمْري لقد مَرَّتْ بيَ الطيرُ آنفـاً

بما لم يَكُنْ إذْ مَرَّتِ الطَّيرُ مِنْ بُدِّ[٥]

ظَلِلْتُ أُساقي الموتَ إِخْوَتيَ الأُلى

أبوهُمْ أبي عِنْدَ المُزاحةِ والجِدِّ[٦]

- عند السحر إذا تغيرت روائح الأفواه . وثوت : أقامت ، والضمير للمدامة . والحجج جمع حجة وهي السنة . القنة : رأس الجبل .

والمعنى : إن فمها تطيب رائحته كأن ثناياها سقيت مدامة معتقة أقامت أمداً طويلاً في مكان عال فأورثها مكانها برودة ولوناً لطيفا .

(٤) الغدوة : أول النهار . الشواحج : جمع شاحجة : وهي الغربان لاتعيد ولاتبدي : أي لاتبدي معنى ولاتعيد فحوى .

(٥) أنث الطير لأنه أراد الجماعة منها . وآنفاً : ظرف أي أول وقت . ومن زائدة . وبد : اسم يكن .

والمعنى : لقد مرت بي الطير من عهد قريب ، وعلمت من مرورها أن لابد من وقوع حادث جلل .

(٦) الألى : الذين . والمعنى : لما دلت الطير حين مرت بي على أمر سيقع أوقعت بإخواني وساقيتهم كأس الموت ، وان كنا في الحقيقة أبناء جد واحد ، وذلك لاختلاف شؤوننا بتقلب الزمان .

كِلانا يُنادي يانزارُ ودوننا
قَناً من قَنَا الَخطِّيِّ أو مِنْ قَنا الهِنْدِ[7]

قرومٌ تَسامىٰ من نِزارٍ عليهمُ
مُضاعَفَةٌ من نَسْجِ داودَ والسُّغْدِ[8]

إذا ما حَمَلْنا حَمْلةً مَثَلُوا لَنا
بِمُرْهَفَةٍ تُذْرِي السواعِدَ من صُعْدِ[9]

---

(٧) نزار بن معد بن عدنان . والخطي : نسبة الى موضع تجلب إليه الرماح من الهند .

والمعنى : كان شعار كل من الفريقين يالنزار وهم يتطاعنون بالرماح .

(٨) القروم: الفحول ومفردها قرم. وتسامىٰ: تتسامى في العز والشرف . والمضاعفة : الدروع التي نسجت حلقتين حلقتين. والسغد: بلاد تعمل بها الدروع.

والمعنى : هؤلاء المتحاربون أشراف من نزار لاتراهم إلا وهم يلبسون الدروع السابغة .

(٩) المرهفة : السيوف الرقيقة . تذري : تقطع وتسقط . من صعد : من أعلى .

والمعنى : إذا تقدمنا إليهم بالحملة مثلوا لنا وقابلونا بالسيوف المرهفة التي تقطع السواعد من أعاليها .

وإنْ نَحْنُ نازَلْنـــاهُمُ بِصَـوارِمٍ

رَدَوْا في سَرابيلِ الحديدِ كما نَرْدي[10]

كَفى حزَناً أن لاأزالُ أَرى القَنـا

تَمُجُّ نجيعاً من ذِراعِي ومن عَضُدي[11]

لَعَمْري لئنْ رُمْتُ الخروجَ عليهمُ

بِقَيسٍ على قَيسٍ وعَوْفٍ عَلى سعدِ[12]

وضيَّعتُ عَمْراً والرَّبابَ ودارمـاً

وعمرَو بنَ أُدٍّ كيفَ أَصْبرُ عنْ أُدِّ[13]

---

(١٠) ردوا : من الرديان ، وهو سرعة المشي ، وسرابيل الحـديد : الدروع . والمعنى : وإن نحن نازلناهم بقواطع السيوف هرولوا إلينا بالدروع الثقيلة كما نهرول إليهم .

(١١) تمج : تصب . والنجيع : الدم المـــائل للسواد أو دم الجوف . وأراد بذراعه وعضده قومه الذين يتقوى بهم .

والمعنى: إن الحزن كل الحزن في رؤيتي الرماح ينصب منها دم قومي ويراق.

(١٢) لعمري : قسم وجوابه لكنت في البيت ١٤ .

والمعنى : لئن رمت الايقاع بهم بخروجي عليهم فذلك ايقـاع الإخوان بالاخوان فنخرج بقيس على قيس وسعد على سعد ، لأن عوفاً هو ابن سعد .

(١٣) في المرزوقي : وعدوانَ وَدّ كيف أصبر عن ود . —

لكنتُ كَمُهريقِ الذي في سِقـائِه

لِرَقراقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدِ (١٤)

كَمُرْضِعةٍ أولادَ أُخرى وضَيَّعَتْ

بني بَطْنِها . هذا الضَّلالُ عَنِ القَصْدِ (١٥)

فأوصيكُما يا ابنيْ نِزارٍ فتابعـــا

وصِيَّةَ مُفضي النُّصْحِ والصّدقِ والْوُدِّ (١٦)

— والمعنى : إذا ضيعت قومي هؤلاء حزنت عليهم ولاسيا عمرو بن أد .

(١٤) لكنت : جواب القسم . ومهريق : مثل مريق . السقاء : الزق . الرقراق : المضطرب . الآل : السراب . الرابية : الرملة المرتفعة . الصلد : الشديد الأملس

والمعنى : إذا قاتلت إخواني كنت كمن يصب ماء زقه في الأرض المقفرة طمعاً في رقراق سراب ، فأنا كالمُغترّ بفعله أضيع ماعندي حقيقة لأطلب وهماً وباطلاً .

(١٥) القصد : الصواب . معنى البيت : وأنا أيضاً إذا قاطعت أوليائي وأصدقائي صرت مثل مرضعة ضلت عن الصواب فأرضعت أولاد غيرهـــا ، وتركت أولادها جياعاً وكذلك تفعل النعام لسوء هدايتها ، فتترك الواحدة منها بيض نفسها وتسوم في المرعى فإذا أرادت العودة إليهـــا لم تهتد فتجثم على بيض غيرها .

(١٦) يروى : مصفي النصح بدل مفضي . وقـد جعل وصاته شاملة لقبائل ربيعة ومضر ، وهما ابنا نزار بن معد . —

فلا تَعْلَمَنَّ الحربَ في الهامِ هامتي

ولا تَرْمِيا بالنبلِ وَيْحَكُما بَعْدي[17]

أَما ترهبانِ النـــارَ في ابنيْ أَبيكُما

ولا ترجوانِ الُخلدَ في جَنَّةِ الُخلْدِ[18]؟

فما تُرْبُ أَثْرى لو جمعتُ تُرابَهـــا

بأكثَر من اِبنيْ نِزارِ على العَدِّ[19]

— والمعنى : يا ابني نزار أو صيكما قبل موتي فاتبعا وصيتي فإنها وصية ناصح مخلص لـكم .

(١٧) يورد الوصية في هذا البيت . اخترنا نصب الحرب على أنها مفعول به وهامتي هي الفاعل . وهناك من اختار رفع الحرب على أنها فاعل .

ومعنى البيت : يا اخواني من أبناء نزار عودوا الى السلم ودعوا الحرب لعلي لا أسمع في قبري أصداء المعارك بينكم ولا أرى السهام والنبال ترمى بها صدوركم .

(١٨) المعنى : أما تخافون عقاب الله في حربكم ، ولا ترجون رضا الله في جنة الخلد بسلامكم وصلة أرحامكم ؟

(١٩) الثرى وأثرى : اسمان للارض . ومعنى البيت : إن ربيعة ومضر كثيرون كثرة التراب في الأرض فما بالهم يبيد بعضهم بعضاً .

هما كَنَفا الأَرضِ اللذا لَوْ تَزَعْزَعا
تَزَعْزَعَ ما بين الَجنوبِ إلى السُّدِّ[٢٠]

وإني ، وإنْ عـــاديتُهم وجَفوتُهم
لتألَمُ ممـا عَضَّ أكبادَهُمْ كَبْدي[٢١]

فإنَّ أبي عندَ الحفـــاظِ أبوهُمُ
وخـــالُهُمُ خالي وجَدُّهُمُ جَدّي[٢٢]

رماحُهُمُ في الطولِ مثلُ رماحِنــا
وهُمْ مِثلُنا ، قَدَّ السُّيورِ مِنَ الجلْدِ[٢٣]



---

(٢٠) الكنف : الجانب . ومعنى البيت : وهما قوام كل قبيلة ، فكأنهما جانبا الأرض فلو تحركا تحركت ولو سكنا سكنت .

(٢١) معنى البيت : لست أريد عداوتهم ولاهجرهم فهم مني وأنا منهم أحب مايحبون وأكره مايكرهون .

(٢٢) الحفاظ : المكارم والمكاره . والمعنى : أنا وهم عند الفخر من بيت واحد .

(٢٣) القد : القطع طولاً ، وهو منصوب على المصدرية . والسيور : جمع سير مايقد من الجلد وضربه مثلًا في المساواة .

ومعنى البيت : ان مفاخرهم في الأنساب والأحساب لا تجاوز مفاخرنا فنحن وهم من أصل واحد ، وذلك كما تقطع السيور من الجلد على قدر واحد .

مقطوعات

في

الإنصاف

الانصاف في النصر

(١)

قال العباس بن مرداس السُّلَمي (*):

هَزَمْنا إذ لَقينا جَيشَ رَعْلٍ
وذَكواناً وجَمْعَ بني خُفافِ

ومـا إنْ طِبُّهُمْ جُبْنٌ ولكنْ
رَمَيْناهُمْ بثالثة الأثافي

(٢)

وقال شُبَيْل الفَزاري ، وحاربه بنو أخيه فقتلهم ؛ يبكي قتلاه ويتحسرُ عليهم ويذكرُ شجاعتهم ، وأن نصره عليهم كان بحيلةٍ منه (**):

أيا لَهفَي على من كنتُ أدْعُو
فيكفيني وساعدُهُ الشديدُ (١)

(*) انظر مقدمة الكتاب ، والمنصفة الثالثة .

(**) حماسية أبي تمام الطائي ٢٢٦.

(١) معنى البيت : تلهف على قتله أولاد أخيه الذين كانوا ينصفونه عند الملمات ، إذا دعاهم لها .

وما من ذِلَّةٍ غُلِبُوا ولكنْ
كذاكَ الأُسْدُ تَفْرِسُها الأسودُ[٢]

فلولا أَنَّهُمْ سَبَقَتْ إليهمْ
سوابقُ نَبْلِنا ، وهُمُ بَعيدُ[٣]

لحاسَوْنا حياضَ الموتِ حتى
تطايرَ مِنْ جوانِبِنا شريدُ[٤]



---

(٢) معنى البيت : نحن ماقتلناهم لضعفهم ، ولكن الأسود تفترسها الأسود .

(٣) هم بعيد : يقع على المفرد والجمع أي وهم متباعدون . والمعنى : نحن رميناهم بسهامنا السابقة إليهم ، وهم على بعد فقتلناهم .

(٤) المعنى : لولا سهامنا سبقت إليهم لكانوا سقونا من حياض الموت كما سقيناهم ، حتى تتطاير أعضاؤنا .

الانصاف في الهزيمة

- ٣ -

قال فروة بن مُسَيْك المرادي(*) :

إن نَهْزِمْ فهزّامونَ قِدْماً
وإن نُهْزَمْ فغيرُ مُهَزَّمينا(١)

(*) فروة بن مسيك : صحابي جليل ؛ قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كندة ومبايعاً للنبي صلى الله عليه وسلم . فقال له يوماً : هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرّزم ؟ فقال : يارسول الله ومن ذا يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الرزم إلا ساءه ذلك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ان ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً .

وكان بين مراد وهمدان وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا حتى أثخنوهم . وفي ذلك يقول فروة هذه الأبيات ، وفي نسبة بعضها إليه خلاف كبير.

المصادر : الكتاب : ٤٧٥ ، الوحشيات : ص ٢٨ ، شرح شواهد المغني : ٨١ ، خزانة الأدب ٢ : ١٢١ .

(١) مُهَزَّم : كثير الانهزام أمام الأعداء . ومعنى البيت : إن هزمَنا أعداؤنا في معركة فطالما هزمناهم ، وإن هزمْنا أعداءنا فقل أن نعرف الهزيمة فنحن دائماً منتصرون .

وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ

منايانا ودولةُ آخرينا [2]

كذاكَ الدّهرُ دولَتُه سِجالٌ

تَكُرُّ صروفُه حيناً فحينا [3]

فأَفنى ذلكُمْ سرواتِ قومي

كما أفنى القرونَ الأوَّلينا [4]

فلو خَلدَ الملوكُ إذن خَلدْنا

ولو بقيَ الكرامُ إذن بَقينا [5]

---

(٢) الطب : العلة والسبب والعادة . ومعنى البيت : لم يكن سبب قتلنا الجبن ، وإنما كان ماجرى به القدر من حضور المنية وانتقال الحال والدولة عنا .

(٣) سجال : مرة على هؤلاء ومرة على هؤلاء . من مساجلة المستقين على البئر ، بالسجل وهو الدلو .

(٤) سروات : جمع سري ، وهو السيد الشريف .

إذا ما الدَّهرُ جَـــرَّ على أُناسٍ

كلاكلَـهُ أناخَ بآخريـنــــا (٦)

فقلْ للشـامِتِينَ بنـــا أَفيقُوا

سَيَلْقى الشامِتونَ كما لَقِينـا (٧)



(٦) الكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر .

قال رجلٌ من حِمْيَر في معركة كانت بينها وبين عبد مناة ، وكانت على حمير(*) :

من رأى يومَنَــا ويومَ بَـنِي التَّ

ـتَيْمِ إذ ٱلتَفَّ صِيقُـه بِدَمِهْ(١)

لَمَّـــا رَأَوْا أَنَّ يَوْمَهُم أَشِبٌ

شَدُّوا حَيازِيمَـهُم على أَكَمِهْ(٢)

كَأَنَّـمَـــا الأُسْـدُ في عرينِهِـمُ

وَنَحْنُ كاللّيلِ جـاشَ في قَتَمِهْ(٣)

(*) الحماسية ١٠٨ .

(١) من رأى : على معنى يامن رأى .

الصيق : الغبار ، والتفافه برشاش الدم من الجراح .

(٢) الأشب : كثير الجلبة . الحيازيم : الصدور ، وأراد مــافيها من القلوب . وذلك مثل لصبرهم على ماحل بهم .

(٣) يشبه أعداءه بالأسود في عرينها ، ويشبه نفسه وقومه بالليل يغلب بظلامه على كل شيء .

لا يُسلِمونَ الغـــداةَ جارَهُمُ

حتى يَزِلَّ الشِّراكُ عَنْ قَدَمِهْ (٤)

ولا يَخِيمُ اللقـــاءَ فارسُهـــمْ

حتى يَشُقَّ الصفوفَ من كَرَمِهْ (٥)

مـــا بَرِحَ التَّيمُ يَعتزُون وزُر

قُ الخطِّ تَشفي السقيمَ من سَقَمِهْ (٦)

حتى تَوَلَّتْ جُموعُ حِمْيَر والفـــ

ـلُّ سريعاً يَهْوي إلى أَمَمِــــهْ (٧)

---

(٤) زل الشراك عن القـــدم : كناية عن الموت ، فهو يمدحهم بحسن الدفاع عن الجار ، وأنهم لا يسلمونه حتى يموت .

(٥) لا يخيم اللقاء : أي لا يجبن عن اللقاء ، فحذف الجر تخفيفاً .

والمعنى : ان فارسهم لا يجبن عن اللقاء ، بل يخرق الصفوف إقداماً لعزة نفسه وكرمها .

(٦) زرق الخط : هي الرماح . وتشفي السقيم : أي الموتور .

(٧) المعنى : مازالوا كذلك يعتزون حتى انهزمت جيوش حمير ، وأسرع كل إلى النجاة بنفسه . والأَمَم : القصد .

وَكَمْ تَرَكْنـــا هُناكَ مِنْ بَطَلٍ
تَسْفي عليـهِ الرِّيـاحُ في لِمهْ[8]

-٥-

وأنشد مالكُ بن حِطَّان ، وهو جريح في ميدان المعركة قبل أن يموت (*):

ومــــا ذَنْبُنا أَنَّا لَقينـا قَبيلةً
إذا واكَلَتْ فرسانُنا لا تُواكِلُ[1]
يساقوننـا كأساً من الموتِ مُرَّةً
وعَرَّدَ عَنَّا الْمُفْرَقُونَ الخناكِلُ[2]
فما بينَ من هـابَ المَنيَّةَ منكُمُ
ولا بيننَا إلا ليـــالٍ قلائلُ[3]

---

(٨) اللمة : الشعر في الرأس . والمعنى : كثيراً ماتركنا في تلك المعركة من أبطالنا مصرعين ، تعبث الرياح بما تشعث من شعرهم على رؤوسهم .

(*) النقائض ليدن ١٩٠٥ : القسم الأول ص ٢٢عن مجلة الأقلام: سنة ١ ج ٦ مقال الأستاذ القيسي .

(١)و(٢)و(٣) واكل : اتكل وتقاعس .

عرّد : فرّ . المفرقون : الخائفون . الخناكل : القصار الأفعال .

ومعنى الأبيات : ليس ذنباً أنّا لقينا فرساناً شجعاناً لايتقاعسون في الحرب إذا تقاعس فرساننا ، لقد تساقينا كأس الموت ففر عنّا الخائفون الجبناء. فيا من فر من منيته ليس بين موتك وموتنا ، نحن الذين قتلنا في المعركة ، غير أيام قليلة ، وستلحق بنا عن قريب وأنت تحمل معك عارك .

- ٦

قال عمرو بن قَميئة ، صاحبُ امرىء القيس ، وهو ممن أنصفَ في شعرِه وصدق(*) :

فما أَتلَفَتْ أَيديهمُ من نفوسِنا
وإن كَرُمَتْ فإننا لا نَنوحُها (١)
فَأُبْنا وآبُوا كُلـُّنا بمَضيضَةٍ
مهملةٍ أَجراحُنا وجروحُها (٢)

(*) شاعر قديم صحب امرأ القيس في رحلته الى الروم . فسمي « الضائع » وهو الذي يذكره امرؤ القيس في شعره : بكى صاحبي . . .

والبيتان في الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ : ٣٣٧ .

(١)و(٢) المضيضة : من فعل مضّ ، يمض ، الحرقة من الهم والحزن ، مهملة : من الهمل ، وهو المتروك سدى ليلًا ونهاراً .

ومعنى البيتين : لئن كرمت علينا نفوس الذين فقدناهم في المعركة فإننا نصبر ولاننوح عليهم ، فقد أصاب أعداءنا الذين قتلونا مثل ما أصابنا وَعُدْنا جميعاً نحمل الهم والقلق ، ولانستطيع تضميد جراحنا ولايستطيعون تضميد جراحهم .

- ٧ -

وقال عمرو بن كلثوم(*):

كَأَنَّ سيوفَنـــا فينـــا وفيهمْ
مخـــاريقٌ بأيـدي لاعبينـا (١)
كَأَنَّ ثيابَنـــا مِنَّـــا ومنهمْ
خُضِبْنَ بأُرْجوانٍ أَوْ طُلينـا (٢)

- ٨ -

وقالَ الطُّفَيْلُ بنُ عَوفٍ الغَنَوِيُّ(*):

(*) شاعر تغلب ، من شعراء الطبقـــة الأولى ، وأم عمرو ليلى بنت المهلهل . ساد قومه وهو ابن خمسة عشر عاماً . قتل عمرو بن هند لأنه حـــاول استخدام أمه في حادثة مشهورة ، وأنشد معلقته ومنها هذان البيتان .

(١)و(٢) معنى البيتين : سيوفنا وسيوفهم في أجسادنا وأجسادهم كأنها عصي اللاعبين صاعدة هابطة . وقد كست دماؤنا ودماؤهم ثيابنا وثيابهم ، فكأنها مصبوغة بأرجوان . انظر منصفة فروة بن مسيك الثانية ، ففيها بيتان مشابهان في المعاني والألفاظ لهذين البيتين ص ١٣٩ – ١٤٠ .

(*) شعر طفيل بن عوف الغنوي – كرنكو – ١٩٢٧ ص ٢٤ . عن مجلة الأقلام العراقية : سنة ١ جزء ٦ مقال للأستاذ نوري حمودي القيسي . والطفيل يرثي فرسان قومه ويذكر وقعتهم بطيء ، وكيف لقيتهم فزارة فقتلتهم ، فأدركتهم غني واستنقذتهم .

قَتَلْنـا بِقتلانا من القومِ مِثْلَهمْ

وبالموثَقِ المَكْلُوبِ مِنَّا مُكَلَّبُ[1]

وبالنَّعَمِ المأْخوذِ مثلُ زُهائِهِ

وبالسَّبْيِ سَبْيٌ والمُحارِبِ مُحْرَبُ[2]

- ٩ -

وقال دُرَيْد بن الصِّمة الجُشمي ، يوعد بني الحارث من بني الديّان(*) :

يا بَني الحـارثِ أنتُمْ مَعْشَرٌ

زَنْدُكُمْ وارٍ ، وفي الحربِ بُهَمْ

ولكمْ خَيْـلٌ عَلَيْهـا فِتْيَةٌ

كأُسودِ الغيلِ يَحْمِينَ الأَجَمْ

ليسَ في الأَرضِ قَبيلٌ مثلُكُم

حينَ يَرْفَضُّ القَنـا غَيْرُ جُشَمْ

---

(١)و(٢) معنى البيتين : قتلنا من أعدائنا مثل من قتلوا منا ، وأوثقنا منهم عدد من أوثقوا منا ، وأخذنا من أنعامهم مثل أنعامنا ، وسبينا منهم مثل من سبوا منا ، ونكبنا منهم مثل من نكبوا منا في الحرب . فنحن في النقمة والنعمة سواء .

(*) حماسة ابن الشجري طبع حيدر آباد ص ١٤ .

لستُ للصِّمَّةِ إن لَمْ آتِكُـــمْ

والخَنَاذِيذُ[1] تبـارى في اللُّجُمْ

-١٠-

وقال خِداشُ بنُ زُهَيْرٍ العامري(*):

جَلَبْنا الخَيْـلَ شازِبَـــةً إليهمْ

عوابِسَ يدَّرِعْنَ اللَّيْـلَ قُودا

تَبارىٰ في الأَعِنَّـــةِ مُصْغِياتٍ

حِدادَ الطَّرفِ يَعْلِكْنَ الحديدا

فجاؤوا عارِضاً بَرِداً وجِئنـــا

كَما أَضْرَمْتَ في الغـابِ الوَقُودا

تَنـادَوْا : يا لَعُمـروٍ لا تَفِرُّوا

فَقُلْنـا : لا فِرارَ ولا صُـدُودا

فَعارَكْنا الكُماةَ وَعارَكُونـــا

عِـراكَ النُّمْرِ واجَهتِ الأُسُودا

(١) الخناذيذ : مفردها خنذيذ وهو البطل .

(*) حماسة ابن الشجري : طبع حيدر آباد ص ٣١ .

- ١١ -

وقال فروة بن مُسَيك المرادي(*):

تجــاوَزْنا اللفيفَ بموشِـكات
وزُرْنا في منازلهـا السَّكونـا[1]

ولاَقَيْنا فوارسَ غـــيرَ ميلٍ
عجالَ الطعنِ غـيرَ مُعَرِّدينـــا[2]

كأنَّ ثيابَنـــا مِنّـا ومِنْهُمْ
خُضِبْنَ بأُرجوانٍ أو طُلِينا[3]

(*) مرت ترجمته ص : ١٢٩ نلاحظ أن هذه المقطوعة والقصيدة السابقة لشاعر واحد هو فروة بن مسيك ، وأنهما من بحر واحد وقافية واحدة فلعلها أن يكونا من قصيدة واحدة . وهذه الأبيات في الوحشيات لأبي تمام ص ٩٤ .

(١) اللفيف : مكان : موشكات : جاء في لسان العرب : أوشك فلان يوشك إيشاكاً أي أسرع في السير والموشكات : جمع موشكة وهي النـــاقة المسرعة — وفي اللسان : ناقة مواشكة : سريعة : والسَّكون: قبيلة .

(٢) عرَّد : فر ورجع ، والمعرِّد الجبان المتقاعس في القتال .

(٣)و(٤) انظر بيتي عمرو بن كلثوم في معلقته ص ١٣٦ فالصورتان متشابهتان تماماً وتكاد الألفاظ تكون واحدة .

فآبت خَيْلُنـــا قُطُفاً وفيهمْ

نوافِذُ من أَسِنَّتِنـــا وفينـا [4]

- ١٢ -

وقال عمروُ بنُ العاص يوم معركة صِفِّين ، ينصف أهـل العراق(*) :

لو شهدتْ جُمْلٌ مُـقامي ومَوْقفي

بِصِفّينَ يَوْماً شابَ منها الذَّوائِبُ

غداةَ أتى أهـلُ العِراقِ كَأَنـَّهُمْ

منَ البحرِ لُـجٌّ مَوْجُهُ متراكِبُ

وجئنا إليهمْ في الحديدِ كأَنـَّنا

سَحابُ خَريفٍ زَعْزَعَتْه الجنائبُ

-- وقُطُف جمع قَطوف ، والقطوف : من الدواب البطيء ، والأسنة : الرماح .

(*) حماسة ابن الشجري ص ٥٢ — ٥٣ .

فقالوا : نَرى من رائِنا أنْ تُبايعوا
عَلِيّاً ، فقلنا : بل نَرى أَنْ تُضارِبوا[1]
فطارتْ إلينا بالرِّمـــاحِ كُماتُهم
فَطِرْنا إليهم ، والسيوفُ قواضِبُ
ولما أرادوا أن يَقُوموا مُقامَنا
أَبينا عَلَيْهِمْ أن تَزولَ المناكِبُ[2]

-١٣-

وقال زُفَرُ بنُ الحارث ، وشهدَ وقعةَ مرجِ راهط مع الضَّحاكِ بن قَيْس[*]:

وكُنَّا حَسِبْنا كُلَّ بيضاءَ شَحْمَةً
ليالِيَ لاقَيْنا جُذامَ وحِمْيَرا[1]

---

(١) في رواية : رأينا .

(٢) أن تزول المناكب : كناية عن الفرار ، وتبديل أماكن المعركة ، ولعلهم اتقوا فرارهم برفع المصاحف ، وقد كان عمرو صاحب هذا الرأي .

(*) حماسية أبي تمام — رقم ٢٧ —

(١) قوله : « كل بيضاء شحمة » : مثل مشهور .

فلما قَرَعْنا النَّبْعَ بالنبعِ بعضَه
ببعضٍ أبتْ عيدانُه أَنْ تَكَسَّرا[٢]
ولمـا لَقِينا عُصْبَةً تغلبيَّةً
يقودون جُرْداً لِلْمَنِيَّةِ ضُمَّرا[٣]
سَقَيْنَاهُمُ كأساً سَقَوْنا بمِثْلِها
ولكنَّهُمْ كانُوا على الموتِ أَصْبَرَا[٤]



---

(٢) النبـع : شجر صلب يعمل منها القسي ، وعيدانه : أعداؤه الذين حاربوه ، لأنه شهد لهم بالصبر ، وضرب ذلك مثلاً لتكافؤ الفريقين جلادة وصبرا .

(٣) و (٤) في هذين البيتين شهادة لهم بالغلبة واعتراف لأعدائهم بأنهم أهل صبر .

-١٤-

قال عليٌّ بن بَدّال السلمي (*):

لَعمـــرُكَ إنـــني وأبا رياحٍ
على طولِ التّجـاورِ مُنذُ حينِ (١)
لَيُبغِضُني وأُبغِضُــه وأيضـــاً
يراني دونَـــهُ وأراهُ دوني (٢)
فَلَوْ أَنّا على حَجَـــرٍ ذُبِحْنـــا
جَرى الدَّميانِ بالخَبَرِ اليقينِ (٣)

(*) تروى الأبيات في الوحشيات لأبي تمام ص ١٢٥ لمرداس بن عمرو. والبيت الثـــالث من شواهد النحاة : الخزانة : ١٢٩ و ٣ : ٣٤٩ ، وروي، أيضاً مع بيتين آخرين للمثقب العبدي . انظر مقدمة الكتاب .

(١)و(٢)و(٣) معنى الأبيات واضح ، وهي إنصاف كامل في البغضاء كما يكون الإنصاف في الإخاء ، وصراحة في الكره في الحياة وفي الموت مامثلها صراحة .

ملاحظة : قدمنا في النص الأصلي منصفتين في الإخاء ، ولاسيا منصفة أبي عروبة .

الفهارس

الموضوعات

الأعلام

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(ن)

(و)

(ه)

(ي)

القبائل والأقوام

الأماكن والأيام

Academic 82 التّريسي
Trrissy@hotmail.com

فهرس القصائد المنصفة

البحر الصفحة

* * *

Academic 82 التّريسي
Trrissy@hotmail.com

القوافي (*)

صدر البيت	القافية	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	الصفحة
			(أ)		
واذا تعرقت	جربائِه	١	الكامل	أبو عروبة المدني	٩١
إني وإن كان	وورائِه	١	الكامل	أبو عروبة المدني	ت
			(ب)		
ألا أيها الباغي	المقشبا	٢	الطويل	قطري بن الفجاءة	م–ن
عَجِبْتْ	الأرنبِ	١	الكامل	عمرو بن معد يكرب	ث
وأنا الأخضر	العربْ	١	الرمل	الفضل اللهبي	٧٥
			(ح)		
يابؤس	فاستراحوا	٩	مجزوء الكامل	سعد بن مالك بن ضبيعة	ل–م

(*) أثبتنا في هذا الفهرس الأشعار التي سقناها في البحث والشروح .

صدر البيت	القافية	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	الصفحة
			(س)		
فلم أر	فوارسا	٤	الطويل	العباس بن مرداس	٥٦
لأسماء ربع	فراكسا	١	الطويل	العباس بن مرداس	ش
أعباس	الأحامسا	٢	الطويل	عمرو بن معد يكرب	٥٣
لمن طلل	كوانسا	١	الطويل	عمرو بن معد يكرب	٥٣
			(ض)		
ودون يد	عريضُ	٢	الطويل	العديل بن الفرخ	١٠٧
			(ع)		
شواجر	قطوعُها	٢	الطويل	البحتري	١١٤
فأصبحَ	والأقرع	٣	المتقارب	العباس بن مرداس	٥٢
			(ف)		
هزمنا	بني خفافِ	٢	الوافر	العباس بن مرداس	ص
			(ق)		
ألم تر	فريقُ	١	الوافر	عامر بن معشر بن أسحم	ر

صدر البيت	القافية	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	الصفحة
فإن تك	المفارقِ	١	الطويل	العديل بن الفرخ	١٠٩
من سره	المحرقِ	١	الكامل	كعب بن مالك	ح - ٢١
			(ك)		
يا أيها البكر	ممشا كا	٣	الرجز	شاعر	٧٧
			(ل)		
فلو كنت	دليلُ	٣	الطويل	العديل بن الفرخ	١٠٧ -- ١٠٨
وما ولدت	الحلائلِ	٢	الطويل	الفرزدق	١٠٩
أتختم علينا	بكلكل	١	الطويل	مسور بن زيادة الحارثي	ص
			(م)		
ولم يأتِ	جزمُ	١	الطويل	أبو العلاء المعري	أ د
أرى النصف	يظلمُ	١	الطويل	عبادة بن حريز	غ
والظلم	لايظلمُ	١	الكامل	المتنبي	غ
حاط لي	الكريمُ	١	الخفيف	حرقة بنت النعمان	د
أبا طالب	وتظلما	٣	الطويل	العباس بن عبد المطلب	ظ

صدر البيت	القافية	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	الصفحة
اغش الأمور	الأحزما	٢	مجزوء الكامل	الصلتان العبدي	خ
فقل لزهير	للمتشتم	٣	الطويل	معبد بن علقمة	ع
ومن لايذد	يظلم	١	الطويل	زهير بن أبي سلمى	ظ
إن كنت	هشام	٢	الكامل	حسان بن ثابت	ع
ومدجج	مستسلم	٣	الكامل	عنترة	ن
(ن)					
لاتطمعوا	وتؤذونا	١	البسيط	الفضل اللهبي	ش
وجاؤوا	وازعينا	١	الوافر	عبد الشارق الجهني	١٦ ح
ألا حييت	علينا	١	الوافر	عبد الشارق الجهني	ش
فمن يرنا	وهم علينا	١	الوافر	عبد الشارق الجهني	٣٣
إن نهزم	مهزمينا	٣	الوافر	فروة بن مسيك	ج
قل لعمرو	شنّا	٩	الرمل	لعلها لخلف الأحمر	خ-د
لعمرك	منذ حين	٣	الوافر	علي بن بدال السلمي	و

صدر البيت	القافية	عدد الأبيات	البحر	الشاعر	الصفحة
			(ه)		
أُشُدُّ	أم سواها	١	الوافر	العباس بن مرداس	٥٢
			(ي)		
وقد ينبت	كماهيًا	١	الطويل	زفر بن الحارث	٧٩
يأيها السائل	بدريٍّ	٣	الرجز	الفضل اللهبي	٧٨،٧٧

ثبت المصادر

الأشباه والنظائر
الاشتقاق
الأصمعيات
الأغاني
البيان والتبيين
حديث الشعر والنثر
حماسة أبي تمام
حماسة البحتري
حماسة ابن الشجري
الحيوان
خزانة الأدب
درة الغواص
سمط اللآلي
شرح درة الغواص
شرح شواهد المغني
الشعر والشعراء
طبقات الشعراء
طبقات النحويين
القاموس المحيط
القرآن الكريم
كتاب بكر وتغلب
الكتاب « سيبويه »
لسان العرب
اللزوميات
المؤتلف والمختلف
المبهج
مختصر تذهب الكمال
معجم الأدباء
معجم الشعراء
الموشح
النقائض
الوحشيات

جدول التطبيعات

كاذبةٌ	كاذبةَ	ع	١٢
تساعأ	تساعاً	ذ	٥
الحقون	الحقوق	١٠	٢
المصنفات	المنصفات	١٠	١٠
فتيّة	فتيَة	٤٥	٤
قنيا	قيناً	٤٥	١٧
قَرة	قُرة	٦٩	٥
الحلائلَ	الحلائلِ	١٠٩	٥
وائلَ	وائلِ	١٠٩	٦
٣١٤	١١٤	١١٤	٥
لَعُمروٍ	لَعَمْروٍ	١٣٨	١١

Academic 82 التّريسي
Trrissy@hotmail.com

٢٠٠٠ / ٣ / ١٩٦٧

مطابع وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي